شرح المرهفات القطع

تأليف شيخ الإسلام وسعادة الأنام

القطب الرباني والغوث الصمداني

أبي إسحق

الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله الكولخي

رضي الله عنه

ألفه عام 1348 هـ بمدينة كولاخ

حرسها الله آمين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَن الرَّحِيم

ابتدأ المؤلف رضي الله عنه بالبسملة كغيره من العلماء الأعلام، اقتداءً بكتابِ الله العزيز وعملًا بمقتضى حَديث «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ** -أي حال يهتم به شرعا- **لَا يُبْدَأُ بِبَسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ**»، وفي رواية «**فَهُوَ أَجْذَمُ**» أي ناقصٌ غيرُ تامٍّ، فيكون قليل البركة، وفي رواية لأبي داوود «**بالحمد لله**». وجمع بين الإبتداءين جمعا بين الروايتين كما سيذكر الحمد الآن.

ولا تعارض بين الروايتين إذ الابتداء حقيقي وإضافي، فالحقيقي حاصل بالبسملة، والإضافي بالحمدلة، لأن الإبتداء يمتد إلى الشروع في المقصود، ولا شك هذا المؤلف وإن كان من قبيل الشعر فلا توقف في ندب التسمية عند الشروع فيه.

قال العلامة الحطاب: رأيت بخط جلال الدين المحلي أن صاحب «الإستغنا في شرح أسماء الله الحسنى» حكى عن شيخه أبي بكر التونسي قال: أجمع علماء كل ملة أن الله افتتح كل كتاب ببسم الله الرحمن الرحيم. قال ابن حجر: وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالتسمية، وكذا معظم كتب الرسائل. واختلف القدماء فيما إذا كان الكتاب كله شعرا، هل يبدأ بالتسمية، فجاء عن الشعبي منع ذلك، وعن الزهري قال: مضت السنة أن لا يُكتب في الشعر **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، وعن سعيد بن جبير جواز ذلك وتابعه على ذلك الجمهور، وقال الخطيب: هو المختار هـ من فتح الباري.

ثم قال الحطاب: وهذا في غير الشعر الـمُحتوي على علم أو وعظ، فهذا لا شك في دخوله في كتب العلم، وفي غير الشعر المحرم فإن التسميةَ لا تشرع في الأمر المحرم.

ويقدر في البسملة أبتدئ أو أفتتح أو أؤلف وهو أولى، إذ كل فاعل يبتدئ في فعله ببسم الله يضمر ما جعل التسمية مبدأ له، كالمسافر إذا حل أو ارتحل فقال بسم الله كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله ارتحل، والآكل ينوي آكل باسم الله.

ولم يقولوا بالله في الإبتداء لأن التبرك والإستعانة بذكر اسمه تعالى، وقيل من الوسم وهو العلامة.

والجلالة علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، لم يتسمَّ به سواه قال تعالى ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾. وقد اخْتُلِفَ هل هو مشتق أو مرتجل، وعلى الأول فقيل: مِنْ أَلِهَ يَأْلَهُ كَعَلِمَ يَعْلَمُ إِذَا تَحَيَّرَ، لأَنَّ العقول

تتحيَّر في عظمته، وقيل غير ذلك. وهو أعرف المعارف كما قال سيبويه، وحكى ابن جني أن سيبويه رئي بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: خيرا، وذكر كرامة عظيمة، فقيل له:بِِمَ؟ فقال: بقولي إن اسم الجلالة أعرف المعارف.

قلتُ: وهو مذهب شيخنا الختم التجاني.

وهذا الاسم عند بعض العلماء هو الإسم الأعظم لذكره في القرآن العزيز في ألفين وثلاثمائة وستينموضعـًا، أو في ألفين وخمسمائة وستين، ولوقوع الإعجاز عليه، ولإضافة الأسماء إليه لأنه جامع لمعاني الأسماء الحسنى كلِّها، وما سواه خاص بمعنى، ولا يصح الدخول في الإسلام إلا به، ذكره الحطاب.

والذي عليه العارفون الكمل أن الاسم الأعظم المخزون غيره، فهما اسمان أعظمان ظاهر وباطن، فالظاهر هو الجلالة ويعبر عنه سيدنا التِّجاني باسم المرتبة، كما يعبر عن المخزون باسم الذات المقدسة وبدائرة الإحاطة.

والرحمن الرحيم صفتان للمبالغة بنيتا من مصدر رحم، والرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة.

والرحمة رقّ ة في القلب تقتضي التفضل والإنعام، وهي مستحيلة على الله، وفسرا بالمنعم كما عليه النفراوي.

وناهيك في فضل هذه الجملة ما أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: **«هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه وبين الاسم الأكبر إلَّا كما بين سواد العين وبياضها من القرب».**

ـَالَ العُبَيْدُ الْكولخي محمّد   سليل عبد اللهِ وهو يحمد

من خصّه بواضح البرهان   من بين كل البيض والسودان

حدثًا بنعمة الوهَّاب   برغم أنف المنكِر المرتاب

فيه التفات، لأنا قدرنا عند البسملة أؤلف، وأتى بالفعل الماضي تفاؤلًا، أو إظهارًا للرغبة في حصول مقصوده، أو لأنه صوَّر ما عزم عليه

في مرآة ذهنه فنزَّله منزلة ما أتى به، وهو مما يدل على نفوذ عزمه وبُعْد همته وحرصه على أمله. فإن قلت: إن طول الأمل مذموم، فقد قال ابن الجوزي إلَّا من العلماء فلولا أملهم لما ألفوا ولا صنفوا. وفي الأمل سر لطيف قال الطغرائي: مَا أَضْيَقَ الْعُمْرَ لَوْلَا فُسْحَةُ الأَمَلِ. وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه: «**إنَّما الأمل رحمة من الله لأمتي، ولولا الأمل ما أرضعتْ أم ولدَها ولا غرسَ غارس شجرا**» رواه الخطيب. والمذموم من الأمل الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته.

والعُبيد تصغير عبد، وصف نفسه بالعبودية ثم صغَّر تواضعا، وذلك شأن الكمل، و**ال** فيه عوض عن الإضافة أي عبيد الله.

والكولخي نسبة إلى بلد الناظم، وهي مدينة من مدن سنـڭـال الإفريقية، سكنها والد الناظم الآتي ذكره، وبها توفي رضي الله عنه وقدس سره، ولا زال ضريحه مقصودًا للزيارة.

محمد علم على الناظم، وهو الملقب بالخليفة الحاج محمد رضي الله عنه وأطال بقاءه.

والسليل الولد.

وعبد الله هو الشيخ العلامة، العارف بالله، الحاج عبد الله أحد خلفاء الشيخ التجاني رضي الله عنه في بلاد (سنـڭـال) رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين.

قوله: **وهو يحمد**، الواو للحال، ويحمد مضارع حمِده كسمعه، حمدا أو محمد أو محمدة، ومحمدة شكره.

ومَنْ مفعول يحمد.

وخصه بالشيء خصا وخصوصا وخصوصية، ويفتح، وخصيصى ويمد، وخصية وتخصة فضله.

بواضح البيان أي بالبيان الواضح، ففيه إضافة الصفة للموصوف.

ومن بين متعلق بخصه.

والبيض جنس، **والسودان** كذلك.

وتحدثا حال لمحذوف مقدر، أي أذكر هذه الخصوصية حال كون ذكري لها تحدثا، قال وهو ابن مالك: وَمَصْدَرٌ مُنكرٌ حَالًا يَقَعْ. بِكَثْرَةٍ إلخ.

والوهاب من أسمائه تعالى التي وَرد أن من أحصاها دخل الجنة.

والرغم الكره، رغمه كعلمه ومنعه كرهه.

والمنكر المتجاهل والجاحد للحق، **والمرتاب** الشاك.

عَرَّفَ الناظمُ أولًا بنفسه لأنه من أجل ما يعتني به اللبيب لعدة أمور منها:

-أن بمعرفته ومعرفة مذهبه وعقله ودينه يعرف قدر كلامه، لأنه إن كان حجة فقوله حجة.

-ومنها التعرض لدعاء داعٍ وثناء مثنٍ ووداد أخ.

-ومنها: أن قول المجهول مرغوب عنه، فإذا كان كذلك فقصد المؤلف في تعريف نفسه حسن محمود.

وأما مذهبه فهو مالكي مذهبا وتجاني مشربا.

والعلم هو ابن بجدته، حسبما تعرفه في نظمه من سلاسة العبارة، ورقة الألفاظ، وجمع الأحاديث، وأقوال العلماء الأعلام، في رده على هذا المنكر الجاهل المَريد، فقد أرغمه وزيَّف أقواله في نظم وجيز، وذلك بيانه الذي حمد الله وشكره في قوله: (يحمد من خصه) ابتدأ بالحمد عملًا بالجمع بين الروايتين إذ الابتداء ما فات على ما تقدم آنفا، وسيأتي الكلام على الحمد.

وقوله:

مصــليًا علــى الرَّســول العربــي وآلـــه أولـــي العلـــى والرتـــب
مَـنْ كــانَ حُـبُّهم أســاسَ الــدين وبغضـــهم كُفْـــرًا بغيـــر مـــين

مصليًا حال من فاعل يحمد، ولا يُرد هذا بأن مورد الصلاة اللسان وهو مشتغل بالحمد فلا تتأتى الحالية، أي يحمد من خصه حال كونه ناويًا الصلاةَ، قال تعالى ﴿**فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ أي مقدرين الخلود.

وأفرد الصلاة عن السلام جريا على عدم كراهة الإفراد، بل إذا صلى في مجلس وسلم في آخر ولو بَعد مدَّة كان آتيًا بالمطلوب من آية ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ كما اختاره الحافظ ابن حجر.

والآل المراد بهم أقاربه صلى الله عليه وسلم المؤمنون من بني هاشم، وقيل والـمُطَّلِب، وقيل ذريته، وقيل أزواجه، وقيل أتباعه، وقيل أتقياء أمته، قاله في شرح الحصن الحصين. وفصَّل بأن الآل في مقام الزكاة المؤمنون من بني هاشم أو والمطلب على الخلاف في ذلك، وفي مقام المدح أتقياء أمته، وفي مقام الدعاء كل مؤمن ولو عاصيًا. وباعتبار بعض هذه الوجوه ساغ للناظم حذف لفظ الصحب لدخوله في الآل.

والأساس أصل البناء كالأس.
والبغض ضد الحب.
والمين الكذب.
يشير رضي الله عنه إلى أحاديث وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**حُبُّ العربِ إيمان وبغضهم نفاق**»، ومنها: «**حُبُّ أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق**»، ومنها: «**حُبُّ قريش إيمان وبغضهم كفر وحُبُّ العرب إيمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني**»، ومنها: «**حُبُّ الأنصار آية الإيمان وبغض الأنصار آية النفاق**»، ومنها: «**علي باب حطة من دخل منه كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا**»، ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ومن مات على بغضهم لم يشم رائحة الجنة**».
وفي إشارة الناظم إلى الأحاديث المتقدمة رمز إلى هذا الهالك الذي خلع جلباب الحياء في سب هذا الشريف الصحيح النسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذايته له، ورميه بما هو منه بريء، وهو مع شرفه عالم وولي من أولياء الله تعالى، فلا جرم أنه استحق الأشقى، فلذا قال:

هذا ولما انتدب الأشقى إلى سب إمام الأولياءِ الفضلا

هذا اقتضاب، أي هذا ثابت أو الأمر هذا.
وانتدب من نَدَبَ كنصر دعاه.
والأشقى أفعل التفضيل من الشقاء. وهذا الأشقى هو رجل جكني اسمه محمد الخضر بن مايابي. وسبب شقائه أنه عادى أولياء الله الكرام، وسبهم، وأنكر عليهم بما لا يعلم، ونَسَبَ إليهم ما هم بريئون منه، طلق اللسان في سبهم حسدا من عند نفسه.
كل العداوة قد ترجى إفاقته إلا عداوة من عاداك عن حسدِ
وأنكر مقاماتِهم وكراماتِهم ومقالاتِهم، وهو لم يشم رائحةً لما أنكر، تهاونًا منه بقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ الآية، وبحديث: «**لا تسبوا الأموات**» الحديث. وستعلم مما سيأتي إن شاء الله أنهم برآءُ مما نَسَب إليهم هذا الحمار، وأنه لا ينكر شيئًا إلا ألزم على نفسه الحجة، فهو كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه، وذلك من كرامة هذا الوليّ الشريف الذي سبه، وهو وارث النبي في الدين، فصار سبه سما.

وإمام الأولياء هو شيخنا التجاني رضي الله عنه، وصفه به لأنه خاتم الأولياء، وسيأتي الكلام فيه مستوفى إن شاء الله.

وقوله:

جـــردت مـــن قريحتـــي مهنـــدا	عضـــبا لأســـقيه بـــه كـــاس الـــــــــــــــــــــــــــردى
عرضـــت نفـــسي إلـــى الطعـــان	والضـــــــرب دون شـــــــيخنا التجـــــــــــــــــــاني
فقلـــــت راجيـــــا دوام المـــــدد	مـــن فـــيض شـــيخنا التجـــاني الأحمـــــــــــــــــــــــــــد

جردت جواب لما في البيت قبله.
والقريحة ملكة يقتدر الإنسان على قول الشعر.
ومهندا كمعظم اسم للسيف، **وعضب** كذلك.
وكاس الردى الهلاك. استعار للردى كأسًا يسقيها هذا العدو المبغض لآل البيت، المعادي لأولياء الله تعالى، نجَّانا من بلواه.
والطعان مصدر تطاعن إذا تضارب.
وراجيًا حال من فاعل.
قلتُ: والأحمدي نسبة إلى جده، أو إلى طريقه الأحمدي، وذلك اصطلاح معروف عند أهل الطريقة، وباقي الأبيات يبين.

الحمـــــد لله الـــــذي قـــــد أوقـــــدا	نـور الهدى في قلب كل من هدى

شروع من الناظم فيما هو بصدده.
وافتتح بالحمد هنا افتتاحًا إضافيًا لما في بعض روايات الحديث السابق: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِـالْحَمْدِ للهِ**» وفي رواية: «**كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ**» الحديث، وإنما جعل الافتتاح الحقيقي للبسملة موافقة للكتاب العزيز.
والحمد لغة الثناء بالجميل سواء تعلق بالفضائل أو بالفواضل، والمراد الثناء على المحمود بأفعاله الجميلة، وأوصافه الحسنة الجليلة، وعُرْفًا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أو غيره،

والشكر لغة الحمد عرفا واصطلاحا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغير ذلك إلى ما خلق لأجله.

و**أل** في الحمد للاستغراق عند الجمهور، وللجنس عند الزمخشريّ، وقال بعضهم إنها عهدية لأن الله حمد نفسه في الأزل نيابة عن خلقه، لعجزهم عن كنه حمده، ثم أمرهم أن يحمدوه بذلك الحمد، قال الشبرخيتي: وهو معنى حسن.

ثم الحمد على قسمين: مطلق، ومقيد. فالأول الذي لا يدل إلا على حمد الذات العلية مجردًا، نحو الحمد لله؛ والثاني هو الذي يدل على حمد الذات المقدسة لأجل شيء، كالرحيم والخالق والرزاق ونحوها.

والذي عليه إمامنا مالك رضي الله عنه أن المقيَّد أفضل من المطلق، والمقيد بالإثبات أفضل من المقيد بالنفي. والدليل عنده على أفضليته كثرة وروده في القرآن. وفضَّل الإمام الشافعي المطلق لصدقه على جميع المحامد. والناظم أتى بالمقيد بالإثبات جريًا على مذهب إمامه، فقال: **(الذي قد أوقدا نور الهدى)**، والإضافة للبيان، لأن الهدى هو النور سمي به لأنه أصل النور المعنوي، وأما النور الحسيُّ فأصله النار، ولذلك شبهه به بذكره الإيقاد.

وأشار بقوله: **(في قلب كل من هدى)**، إلى أن النور المعنوي محله القلب، ولذلك قالوا إن سراج القلب المعرفة بالله تعالى وهو العلم النافع، وقال ابن عباد في شرح الحكم: فالنور عبارة عن اليقين الذي يحصل في القلب يثمر حلاوة العمل، فإذا قوي اليقين قوي النور واشتدت الحلاوة حتى يتصل بحلاوة الشهود فيغطي حلاوة العمل، فلذلك يقل عمل الجوارح عند العارف، إذ حلاوة الشهود تغني عن كل شيء ليس الخبر كالعيان هـ. وهذا هو الذي يقول فيه أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض، فما ظنك بنور المؤمن المطيع. وقال أبو العباس المرسي: لو كشف عن حقيقة الولي لعبد من دون الله.

وفي ذكر الناظم **نور الهدى** براعة الاستهلال، وهو أن يأتي المؤلف في ابتداء كلامه بما يشعر بمقصوده، ومقصوده إيقاد نور الهدى لهؤلاء الجهال الأغبياء. وفاعل هدى ضمير مستتر راجع إلى لفظ الجلالة. وفيه التنبيه على أن من يهدي الله فهو المهتدي، قال جل وعلا **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾** الآية، كهذا الجهول الضال المضل، نجانا الله من بلواه.

ثم قال:

وقـــاد للحضـــــرة كـــل مجتبـــى بصـــحبة القـــوم الكـــرام النجبـــا

الحضرة في اصطلاح العارفين مكان قرب العبد من الربِّ، وهي حالة يتصل بها المحب إلى محبوبه فنى المحب في محبوبه وفنى فلم يبق إلا الهوية، والكلام في هذا ليس هنا محل بسطه.

وأشار إلى أن الوصول للحضرة ينال بأمرين: الأول مجرد **اجتباء** من الله تعالى؛ والثاني **صحبة القوم** الكرام النجباء، وهم الرجال العارفون، وإليهم أشارت الآية **﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾**.

قلتُ: وفي إيقاظ الهمم: جرب الناس تجدهم عقارب، فإذا طلبت الصحبة فاصحب العارفين الذين ينهضك حالهم ويدلّ ك على الله مقالهم.

إلى أن قال: والحاصل أن صحبة من يوصل إلى الله فما هي إلا صحبة الله، إذ ما ثم سواه. والنظر إلى العارف بالله فإنما هو نظر إلى الله إذ لم تبق فيه بقية عليه لغير الله، فصار نورا محضا من نور الله، وفيهم قال عليه الصلاة والسلام: «**إن لله رجالا من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا**».

ثم قال: وهم موجودون لا ينقطعون أبدا، ظاهرون ظهور الشمس، لا يخفون إلا على من أراد الله منه طردا و بعدا، والعياذ بالله من السلب بعد العطاء، ومن سوء القضاء، وشماتة الأعداء، وعضال الداء، وخيبة الرجاء، وزوال النعمة، وفجأة النقمة، آمين.

قلتُ: والأولياء الذين تنهض المريدَ حالُهم، هم الموصوفون في حديث رواه دراه قطني في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله؛ وشر عباد الله المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب**». وسيأتي بقية الأحاديث في الباب عند تعرض الناظم لذكر الحديث.

وفي الرسالة القشيرية: ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا. هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان.

قلتُ: ومستند ذلك في السنة حديث أنس رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء،

ولما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا أيدينا من التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا اهـ.

قلتُ: يشير إلى أن حضور شخصه صلى الله عليه وسلم كان نافعا لهم في قلوبهم. وذلك والله أعلم هو الإفادة بالهمة والحال، إذ قالوا من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها، وقال تعالى **﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾**، وخرج عن البزار عن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله أيُّ جلسائنا خير؟ فقال: «**من ذكركم بالله رؤيته، وزادكم في علمكم منطقه، وذكركم بالله عمله**»، وفي مختصر الإحياء فاصحب الأخيار إن لم تكن منهم فأنت معهم.

ثم قال رضي الله عنه:

فأخلصوا القلوب من أغيارها	**وهذبوا النفوس من أكدارها**
وذاك من كرامة الرحمن	**للأولياء الغر أهل الشان**
لهم يقود قائد السعاده	**كل مريد فوزه إراده**
إلاهه والصارف الإلاهي	**يصرف كل منكر ولاهِ**
فكل من لم يتمسك بعرى	**أهل الولاية يتيه في العرا**

والأغيار جمع غير، وهي في اصطلاح الصوفية الظلمات التي حجبت النفوس، وهي التي أشار الحق جل وعلا بقوله **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾** إلخ الآية. ويدخل فيها ما يلائمها من حب الجاه والرياسة، وحب المدح والتعظيم، وغير ذلك من شهواتها وعوائدها. ويدخل في الأغيار العلومُ العقلية واللسانية، فالاشتغال بها والوقوف مع حلاوتها من أشدّ الحجب عن معرفة الله. ويدخل فيها الكرامات الحسية، كالطيران والمشي على الماء، فالوقوف مع ذلك من أشد الحجب.

وتهذيب النفوس وإخلاص القلوب بمعنى أن القلوب حجبها الأنوار، والنفوس حجبها الظلمة المتقدمة. والأنوار هي الأحوال والمقامات دون الوصول إلى الغايات.

والأكدار جمع كدر ضد الصفو.

والغر جمع أغر.

والسعادة ضد الشقاوة.
وفوزَه اشتغال.
وإلهه فاعل أراده، ففي البيت التضمين.
والعرى جمع عروة، وعروة الولي هو العروة الوثقى لا انفصام لها.
والتيه الحيرة.
والعراء الأرض المتسعة التي لا نبات بها.

يعني والله أعلم، أن القوم بسبب صحبتهم للقوم وصلوا إلى حضرة القدس، وأخلصوا قلوبهم من الأنوار الحاجبة، وهذبوا نفوسهم من الأغيار والأكدار، وذلك من كرامة المولى عز وجل للأولياء أي فلاح من صحبهم، فقائد السعادة يسوق أهل السعادة إليهم، والصارف الإلهي يصرف آخرين عنهم.

وفيه الإقتباس من كلام شيخنا رضي الله عنه: «سائق السعادة يسوق أناسا إلى هذه الحضرة الأحمدية، والصارف الإلهي يصرف أناسا عنها». فمن لم يتمسك بعرى الأولياء يعيش حيران ويموت حيران. ولو قال الناظم:

وأخلصوا القلوب من أنوارها وهذبوا النفوس من أغيارها

لكان أوفق.

ثم أشار إلى علة تحير من لم يتمسك بعرى الأولياء بقوله:

لأن جل فقهاء الزمن تقودها أهواؤها بالرسن

الجلّ الغالب.
والرسن زمام في أنف الدابة.

والمعنى أن فقهاءَ هذا الزمن مَالُوا مع الأهواء حيث مالت، حتى إنَّ الأهواء تقودهم بالرسن. وهذا الذي ذكر الناظم واضح لا يحتاج إلى دليل، لأنهم طلبوا العلم تحيلا لاستمالة النفوس إليهم، وجمعا للحطام.

قال اليدالي في شرح خاتمة التصوف: وفي الحديث **«من تعلم صَرْفَ الكلام ليسلب به قلوب الرّجال والنساء (أو الناس) لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا»**. وقال الإمام أحمد: علماء الكلام زنادقة، يعني بعلماء الكلام الذين يتعلمون حلاوة المنطق وضروب الفصاحة ليتمشدقوا بها، ويتفاصحوا بحضرة أبناء الدنيا، ليستميلوا قلوبهم بذلك، ويمدحوهم،

ويظفروا بمراتب من الرياسة. وإنما كانوا زنادقة لأن ظواهرهم تخالف بواطنهم، لأن الظاهر يقتضي تعظيم قدر العلم، والإفصاح عن دقائقه، وتقريب ما أشكل منه بالعبارات البليغة الرائقة، أما الباطن فإنما ذلك كله حبالة وشركة نصبوها لنيل الرياسة وجيفة الدنيا، وكثير منهم يتمشدق ويتفاصح بما لم يحط عِلْمًا بحقيقته، وذلك كله غش ونفاق لا شك فيه. ودخل الثوري على فضيل بن عياض فقال له: عظني، فقال له الفضيل: ماذا أعظكم به معاشر العلماء! كنتم سرجًا يستضاء بكم في الليالي فصرتم ظلمة، وكنتم نجوما يهتدى بكم في ظلمات الجهل فصرتم حيرة، يأتي أحدكم إلى هؤلاء الولاة فيجلس على فرشهم، ويأكل من طعامهم، ويقبل هديتهم، ويدخل بعد ذلك المسجد فيقول حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واللهِ ما هكذا يطلب العلم، فبكى سُفيان وخرج.

ثم قال بعد كلام: وفي الإسرائيليات أن حكيما من الحكماء صنّف ثلاثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى وصف بالحكمة، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك، وإني لا أقبل من نفاقك شيئا. قال: فسقط في يديه وحزن، وترك ذلك وخالط العامة، ومشى في الأسواق وواكل بني إسرائيل، وتواضع في نفسه، فأوحى الله إلى ذلك النبي: قل له الآن وافقت رضاي، قد رضيت. ويقال إن عليا كرم الله وجهه دخل مسجد الكوفة فرأى قاصًّا يقصُّ على الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا شخص يحدث، إن هذا رجل يقول اعرفوني أنا فلان بن فلان أنا فلان.

إلى أن قال: وإن كان تعلمه رياءً ومباهاة أو مراء أو تصيّدا للدنيا كان حجة ووبالًا على صاحبه، وسببًا في تكثير العذاب، وحبط عمله. إلخ كلامه الذي كله درر مفصحة ببواطن علماء السوء كابن مايابى الخسر الذي جال في البلدان لطلب الرياسة، وتملق للملوك بالأفوك، وسبَّ مشايخ الإسلام والأولياء الأعلام، رغبة في إقبال الأنام، حتى ختم سبه بالخاتم الفرد الإمام.

قال السيوطي في المزهر: قال في الغريب المصنف: واعلم أن أكثر آفات الناس الرؤساء الجهال، والصدور الضلال، وهذه فتنة الناس على قديم الأيام وغابر الأزمان، فكيف بعصرنا هذا وقد وصلنا إلى كدر الكدر، وانتهينا إلى عكر العكر، وَأُخِذَ هذا العلم عمن لا يفقه ولا يعْلم ولا يحس، يفهم الناس من لا يفهم، ويعلمهم عن نفسه وهو لا يعلم، يتقلد كل علم

ويدَّعيه، يركب كل إفك ويحكيه، ويجهل ويرى نفسه عالما، ويعيب من كان من العيب سالما.

وهذه الأوصافُ كلها سهام صائبة على نحر هذا الأفاك الأثيم الباغي للبرآء من العيب، نجانا الله من بلواه آمين، وفي المثل:

ـبَ الأبْلَـقَ العَقُوقَ فلمَّا ـمْ يَجِدْهُ أراد بَيْضَ الأنُوق

ثم قال رضي الله عنه:

قد أمَّرتْ نفوسها الأمَّاره فقادها الشيطانُ فيما اختاره

أمَّرَ بالتشديد إذا ملك. والمؤمر كمعظم المملك.

والأمَّارة وصف للنفوس.

والمعنى أن الفقهاءَ الموصوفين ملكوا نفوسهم الأمَّارة بالسوءِ فقادهم الشيطان في اختياره، نعوذ بالله.

قال الشيخ الصاوي: واعلم أن النفس واحدة، ولها صفات: فأول أمرها أن تكون أمارة بالسوء، وتدعو إلى الشهوات وتميل إليها ولا تبالي، وهي نفس الكفار والعصاة الـمُصرين؛ فإذا أراد الله بها الهدى جعل لها واعظًا يأمرها وينهاها، فحينئذ تصير لوَّامة، تلوم صاحبَها على ارتكاب الرذائل، فينشأ عن ذلك مجاهدته وتوبته ورجوعه لخالقه؛ فإذا كثر عليها ذلك واستمر صارت مطمئنة، ساكنة تحت قضاء الله وقدره، راضية بأحكامه، فتستحق من الله العطايا والتحف قال تعالى ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ وهذا مقام الواصلين، وقيل ذلك يسمى مقام السائرين هـ.

وبقوله: والعُصاة المصرين، تعلم أن وصفَ الناظم لنفوس هؤلاءِ بالأمارة سائغ.

وقوله: **فقادها الشيطان فيما اختاره**، يشير رضي الله عنه إلى أن الأعداء أربعة: أولها الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها الخلوة، الثاني الهوى وسلاحه الهوى الكلام وسجنه الصمت، والثالث الشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع، الرابع النفس وسلاحها النوم وسجنها السهر. وقد أشار إلى الجميع في هذه الأبيات بالإجمال: فأشار إلى الدنيا بقوله **علماء الزمن** بإضافتهم إلى الزمن؛ ثم قال **تقودها أهواؤها**؛ ثم قال: **قد أمَّرت نفوسها**؛ ثم قال: **فقادها الشيطان**، فافهم فلله دره من عارف بالأمراض.

ثم قال:

مـــن ذاك أن بعـــض مـــن قـــد يـــــــــــــــــــــــدعي	علمـا وحـــاد عـن سـبيل المهيـع
ومـــا لـــه فـــي العلمـــا علامـــهْ	ولـــيس مـــنهم لا ولا قلامـــه
قـــد قـــاده الحســـد والجهالـــهْ	والخســـر والخيبـــة والبطالـــهْ
إلـــى اهتضــــام خـــتم الأوليـــاءِ	ومـــازج النكْـــر بــــالافتراءِ
يريـــد أن يطفـــئ نـــور اللهِ	ونـــوره لـــيس لـــه تنـــاه

حاد مال.

والمهيع الطريق البين.

والعلامة السمة.

والقلامة ما سقط من الظفر.

والخيبة من خاب يخيبُ خيبةً، حُرِمَ. وخَيَّبَهُ الله وخَسِرَ وكَفَرَ ولم ينلْ ما طلب، كما في القاموس.

والبطالة الهزل.

والاهتضام مصدر اهتضمه إذا ظلمه.

وباقي الألفاظ في غاية الوضوح.

والمعنى أن بعض من يدَّعي العلم قلامة ظفر قاده حسده وجهله وخسره وبطالته إلى ظلم خاتم الأولياء، وظلمه له إنكاره وافتراءه عليه ما هو براء، يريد بذلك إطفاء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره على رغم من يأبى، والخسر ابن ماياى هذا رجل من أجلاف الناس قاسي القلب، منذ نشأ ما تعلم من معلم إلا وسبَّه وهجاه فيطرده المعلم، فهو أهل لأن يلقب بطريد المشايخ، كما سيأتي مزيد بسط في الكلام عليه عند تعرض الناس لذكر أحواله. فالحاصل أنه لا حاجة له بتقويم عوجه، ولا شغل له بمداواة أمراضه، ولم يُلق بالًا إلى ما يسرد من الآيات والأحاديث، بل جعل ذلك وسيلة لجمع الحطام وسب الأولياء والأشراف، ومعلوم أن من أحب النبي صلى الله عليه وسلم أحب آله ومن عمل بمقتضى الأحاديث احترم الأولياء ولا يُحاربُهم، لأن الله هو المحارب لمن حاربهم كما صرحت به الأحاديث.

وقوله:

فزيفـــــت أقوالــــــه إذ أفكـــا	**وصـــادفت جـــذيلها المحككـــا**
ألقيـــت مـــن مقـــولي النظـــيم	**فـــي الســـحر منـــه بعصـــى الكلـــــــــــــــــيم**
حتـــى تلقفـــت جميـــع إفكـــه	**بواضـــح البرهـــان دون شـــكه**

زيّف الدراهم جعلها زيوفا، أي مردودة لغش أو رداءة.

وأَفكَ كضرب وعلم إفكا، كذب.

وصادفه وجده ولقيه.

والجذيل المحكّك عود ينصب للجربى لتحتك به، ومنه أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك، وهو تصغير تعظيم كما في القاموس.

ثم شبه الناظم إفك هذا المنكر المفتري بسحر سحرة فرعون والحق الذي جاء به في رده عليه بعصى موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال تعالى**﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**.

وفي البيت اقتباس يعني أنه زيَّف أقوال هذا المنكر وأباطله بالبرهان الواضح، لأنه هو الجذيل المحكك، وذلك تحدث بالنعم، وهو شكر كما في الحديث الصحيح، وقال تعالى **﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾**.

قلتُ: ولا سيما إذا شابه إرهاب العدو، فقد صَحَّ أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كان إذا دخل ديار الحربيين يمشي مشية الخيلاء وقصده في ذلك محمود، وكذلك قصد المؤلف محمود. وسيأتي في هذا الشرح المبارك إن شاء الله مقالات لأكابر الرجال في هذا المعرض، وهم مبرءون من تهمة قصد الافتخار لما رزقوا من تهذيب النفوس والفناء عن الحظوظ.

ثم قال رضي الله عنه:

أرجـــوزة قامـــت مقـــام الجحفـــل	**فـــي رد جـــيش المنكـــر المغفـــل**
ســــميتها بالمرهفــــات القطّــــع	**إلـــى ابـــن مايـــابى أخـــي التنطـــع**
خضــــر مــــن خســــر فــــي الـــــــــــــــــدارين	**بســـب ســـبط ســـيد الكـــونين**
أعاذنــــا الله مــــن الــــبلاء	**ومـــن شـــرور درك الشـــقاء**

الأرجوزة القصيدة عن الرجز.
والجحفل كجعفر الجيش الكبير.
والمغفل كمعظم من لا فطنة له.
والمرهفات من رَهفَ السَّيْفَ، كَمَنَعَرَقَّقَهُ، كَأَرْهَفَهُ.
وَالقُطَّعُ كركَّع جمع قَاطع للمرهفات.
والمتنطع المتعمق في الكلام، وفي القاموس تنطع.
في الجيش الكبير في الرد على هذا المنكر الأحمق المغفل، وقد سماها بالسيوف المرهفات القطع مجردة إلى هذا الذي خسر بسب أحد أسباط سيد الكونين، أعاذنا الله من بلائه وشقائه، وذلك السبط هو مولانا أبو العباس أحمد بن مَحمد التِّجاني الحسني، فهو صحيح النسب إليه صلى الله عليه وسلم، وما زالت سلسلة أجداده رضي الله عنه بأيدينا خليقة بأن تكتب بذوب الذهب، نفعنا الله به آمين. وقد تقدم الوعيد فيمن مات مبغضًا لآل محمد صلى الله عليه وسلم آنفا، ولكن السبّ إذا أتى من ناقص يدلّ على الكمال، قال أبو الطيب:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ثم قال:

أما درى من جهله المركب أنَّه بسبّه سب النَّبي
لأنه سليله في الطين حقا ووارث له في الدين

الجهل جهلان: بسيط ومركب، فالبسيط من يجهل ويَعْلم أنه يجهل، **والمركب** من يجْهَل ويجهل أنه يجهل كهذا الأحمق، وأنشدوا:

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري وأنك لا تدري بأنك لا تدري

ثم وجه قوله بأن من سبّ هذا الشيخ الشريف سب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: لِأَنَّ البيت، يشير إلى حديث: «**فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني**»، وفي رواية: «**فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري**» اهـ انظر الجامع الصغير للجلال السيوطي.
وقال صلى الله عليه وسلم: «**أحبوني كحب الله وأحبوا أهل بيتي كحبي**»، وقال صلى الله عليه وسلم: «**أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن**

سالمهم» قاله لعلي وفاطمة وابنيهما، وقال: «**إن لكل بني أب عصبة ينتمون إليها إلا ولدا فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي، وويل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»**، وقال صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا كبه الله في النار»**، انظر شرح شهاب الدين بن حجر لهمزية الإمام البوصيري، فقد جلب كثيرا من الأحاديث الدالة على صحة ما ذهب إليه الناظم.

ثم قال رضي الله عنه:

قد ادعى عليه بالبهتان	**والزور منه نسبة الكتمان**
إلى النبي المصطفى العدناني	**وذاك قول ساقط المباني**
لأنه قول جهول مفتر	**لم يأت في قياسه بالنظر**
فما أتتنا عنه في منقول	**نسبة كتمان إلى الرسول**

هذا أوان شروع الناظم فيما قصده من رد هذا المنكر الجاهل.

فأول إنكاراته افتراؤه على الشيخ رضي الله عنه أنه نسب الكتمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأجل قوله إن فضل صلاة الفاتح لم يظهر في زمن الصحابة رضوان الله عليهم، وأول ما قال الرد على نفسه الأمارة بالسوء، لأنه قال في الباب الأول من كتابه أن نسبة كتمان حرف إليه مما أمر بتبليغه ألم يفهم قوله مما أوحي بتبليغه، وقال قبل هذا ناقلا عن الفخر الرازي: قال القاضي الكتمان ترك إظهار الشيء مع الحاجة إليه وحصول الداعي إلى إظهاره، لأنه متى لم يكن كذلك لا يعد كتمانا.

انظر ما نقل كيف كان حجة عليه لقلة فهمه وعمى بصيرته **﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾**.

وأما آية **﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾** فقد قال الإمام الجامع بين الشريعة والحقيقة الصاوي: واعلم أن ما أوحي إليه ينقسم على ثلاثة أقسام:

-ما أمر بتبليغه، وهو القرآن والأحكام المتعلقة بالخلق عموما، فقد بلغه ولم يزد عليه حرفا، ولو جاز عليه الكتم لكتم آيات الكتاب الصادرة له من الله كآية **﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾** وآية **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى**

﴾وسورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ ولفظ (قل) من ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. وقد شهد الله له بتمام التبليغ حيث أنزل قبيل وفاته ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه: اقبض فقد بلغت.

-وما أمر بكتمه فقد كتمه ولم يبلغ منه حرفا، وهو جميع الأسرار التي لا تليق بالأمة.

وما خيِّر في تبليغه وكتمه فقد كتم البعض وبلغ البعض، وهو الأسرار التي تليق بالأمة، ولذا ورد عن أبي هريرة أنه قال أعطاني حبيبي جرابين من العلم لو بثثت لكم أحدهما لقطع مني هذا الحلقوم أهـ منه بلفظه. ولفظ البخاري كما في حديث البخاري قول أبي هريرة: حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين: أما أحدهما فبثثته لكم، وأما الآخر فلو بثثته قطع مني هذا البلعوم. حديث البخاري صريح في المسألة ويؤيده غير ما آية، قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، وقال تعالى ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، وقال تعالى﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وفي الحديث الصحيح: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن وحد ومطلع**»، قال العلامة العزيزي: فظهره ما ظهر من معانيه لأهل العلم، وبطنه ما خفي تفسيره. ولكل حرف حد قال العلقمي: أي ينتهي إلى ما أراد الله من معناه، وقيل لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب. ولكل حد مطَّلَع بشد الطاء وفتح اللام، قال العلقمي: لكل غامض من المعاني والأحكام مطَّلَع يتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد به إلخ كلامه. وانظر جواب عليّ صحيفة لما قال له عندكم كتاب خصكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، إلا كتاب الله تعالى أو فهم أعطيه رجل مسلم إلخ الحديث. وهذا الحديث استدل به هذا المنكر، ألم يفهم قول علي كرم الله وجهه «أو فهم أعطيه رجل مسلم»، فبهذا تعلم أن ابن مايابى لا عقل له ولا رأي ولا نظر، فهو دائما يسعى في هلاكه، وسبحان الله العظيم كيف أعمى بصيرته حتى صار يخبط في نقل الأحاديث خبط عشواء، وأنقاله كله حجة عليه لا له، ولذا قال العلامة محمد فال بن باب العلويّ رضي الله عنه أحد خلفاء الشيخ فمرده عليه.

وقلما ينكر شيئا إلا أتى بما به يرد نقلا
كالقول في مسألة الكتمان ورؤية النبي بالعيان

ويستأنس في هذا المجال بقول باب مدينة العلم علي كرم الله وجهه: لو شئتُ لَأَوْقَرْتُ ثمانين بعيرا من علوم النقطة التي تحت الباء. أورده في الميزان، وذكر لنفسه أنه ذكر في كتابه الذي سمّاه «بالجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون» نحو ثلاثة آلاف علم. قال: وأَخْفَيت في طَيِّهِ مواضع استنباطه من الآيات، غيرة على علوم أهل الله أن تذاع بين المحجوبين. قال الشعراني: وقد أخذه الشيخ شهاب الدين بن الشيخ عبد الحق، فمكث عنده شهرا وهو ينظر في علومه فعجز عن معرفة موضع استخراج علم واحد، فقال لي: وضعك هذا الكتاب في هذا الزمان لأيّ شيء؟ فقلت: وضعته نصرة لأهل الله تعالى لكون غالب الناس ينسبهم إلى الجهل بالكتاب والسنة، فقال لي: أنا أقول في نفسي أنني عالم مصر والشام والحجاز والروم والعجم، وقد عجزت عن معرفة استخراج نظير علم واحد منه من القرآن، ولا فهمت مما فيه شيئا، ومع ذلك فلا أقدر على ردِّه من كل وجه، لأنَّ صولة الكلام الذي فيه ليست بصولة كلام مُبْطِلٍ ولا عامي اهـ من الميزان للشعراني. انظر هذا العالم المبرّز المصنف ما أقر في نفسه لأهل الله. هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا.

ولكنَّ هذا الجَكَنِي الظلماني رجل أعماه الحسد وسوء الجد، واستولى على قلبه الرين، فتسلط على الأولياء الأشراف بالسبِّ والافتراء عليهم ظلما عنه لم يقل شيئا يدل على نسبة الكتمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم في جميع كتبه ووصاياه، ولا تصح بها رواية عنه، حاشاه رضي الله عنه، فإنما ذكر وردًا أخذه عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، رتّبه له وذكر له فضائله، وذلك دعوى سبقه الأولياء إليها كما سيأتي إن شاء الله، ومع ذلك فورده مما بلغ صلى الله عليه وسلم، فليس الورد والصلاة على النبي المختار والهيللة التي هي أفضل الأذكار تقرأ بالعشي والإبكار، وهذه الأذكار كانت الصحابة رضوان الله عليهم عاملين بها ولهم فيها أجر غير ممنون، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين. هذه الأذكار من طريق خاصّ بوجه خاصّ عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فيطلعه على ما له ولآخذيها في ذكرها من الفضائل، ومن أين للمنكر أن تلك الفضائل مما أمر بتبليغه كتمه **﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**.

وهذه الفضائل وإن كثُرت عندك أيها المسكين البخيل فهي نزر بجنب فضل الله تعالى، وما ادعى الشيخ أنهم بكثرة فضائل وردهم بلغوا مراتب الصحابة، وفضائل الصحابة لا تعلمها أنت ولا غيرك حتى تعلم ما يفوقها، فقد ورد أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لو حدثتك

بفضائل عمر طول عمر الدنيا ما فرغت منها وإنما عمر حسنة من حسنات أبي بكر. هل بلغك يا جهول أنه صلى الله عليه وسلم بلغ تلك الفضائل التي لِعُمَر رضي الله عنه، أم اعتقادك أنه صلى الله عليه وسلم كان جاهلا بها وهو أُعْطي علم الأولين والآخرين.

وأكثر من سبّ الشيخ في إنكار هذه المسألة تصديقا لما أخبر به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، ففي الشفا: وسب هذه الأمة أولها، قال الشهاب الخفاجي: أخبر صلى الله عليه وسلم من تأخر من أمته سيظهر سب أولها، وهذا من المعجزات، ورد في حديث رواه البغوي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا فقال: **«لا تذهب الأمة حتى يلعن آخرها أولها»**، وقد وقع هذا كثيرا من الرافضة، فأظهروا سب الشيخين وسب عائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم، ووقع من بني أمية سب عليّ كرم الله وجهه على المنابر، وأدخل بعضهم في هذا من سب بعض الأولياء وعلماء السلف وذكرهم بالسوء وافترى عليهم ما لم يقولوه، كما شاهدناه من بعض السفهاء يسبون العارف سيدي محيي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض ونحوهما من أولياء الله تعالى، حتى صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم، ومقامهم أعلى من ذلك، والاشتغال بمثل هذا تضييع للزمان وتسويد لوجوه الأوراق، ويخشى على المتصدي لذلك سوء الخاتمة، نفعنا الله ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم اهـ من نسيم الرياض بلفظه.

وقال الشهاب الخفاجي أيضا في هذا الكتاب . قوله: وكذلك من ادّعى مجالسة الله فإنه مجسم مجارف، وهو لم يذهب إليه أحد أو العروج إليه أي الصعود والذهاب العلوي، ومكالمته في الدنيا ممن لا يليق به؛ أو ادعى حلوله في أحد الأشخاص، كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة، يعني أن هؤلاء كلّهم ذهبوا إلى أن الله يحل في غيره. أما النصارى والقرامطة فقوم ملحدون ادعوا الحلول، وأولوا القرآن بتأويلات فاسدة لا حاجة لذكرها. وأما المتصوفة فقد نسب لبعضهم أمور وعبارات تقتضي في بادئ النظر ذلك، وهي مؤولة بما يوافق الحق، فمشايخهم بريئون مما نُسب إليهم فإن ما هم عليه من الزهد والعبادة وما يظهر منهم من الكرامات يقتضي أنهم على قدم النبوة.

فما نُقل عنهم إما دسيسة من بعض الملاحدة، أو كلام على اصطلاحاتهم يعرفه أهله، وهذا الذي نعتقده فيهم، نفعنا الله ببركتهم. وكفاك

ما في قصة الخضر شاهدًا له، فلذا أعرضنا عما في الشروح هنا انتهى كلامه وهو حسن.

وأما جواب صاحب الجيش ففي غاية الوضوح وفي عين الصواب، ولكن هذا الجكني الظلماني أعمى الله بصيرته فصار يطعن عليه.

وَإِنْ كُنْتَ مَزْكُومًا فَلَيْسَ بِلَائِقٍ ... قَالَكَ هَذَا الْكُ لَيْسَ بِفَائِحٍ

آخر:

وَمَنْ يَعْتَرِضْ وَالْعِلْمُ عَنْهُ بِمَعْزَلٍ ... يَرَ النَّقْصَ فِي عَيْنِ الْكَمَالِ وَلَا يَدْرِي

آخر:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا ... وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

آخر:

ذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ ... هِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

وقد أشار إلى بعض ما قدمته من الأجوبة خليفة الشيخ محمد فال ابن باب العلوي رضي الله عنه في أرجوزة يرد بها عن الشيخ رضي الله عنه فقال:

وإن تمشينا على ما زعما ... لا يجب التبليغ فيما كتما
بل يجب التبليغ فيما سئلا ... عنه من الأحكام أو ما أنزلا
وغير ذا تبليغه لم يجب ... ميارةوابن العربي
اديج ذا جهله والخضر ... فجاء منهما كلام نكر
. على الجهل ... وكل من كان ضعيف العقل
فكفرا إمام الأولياء ... والجهل والحسد أصل الداءِ

نص كلام ميارة: الثالث: تبليغ كل ما أمرهم الله بتبليغه، ولم يتركوا شيئا منه لا نسيانا ولا عمدا. إلى أن قال: وعدم التبليغ هو كتمان شيء مما أمروا بتبليغه للخلق. انظر الدر الثمين.

ونص كلام ابن العربي في أحكامه: فإن قيل فالتبليغ أفضلية أو فرض، فإن كان فرضا فكيف قَصَّرَ فيه هؤلاء الجلة كأبي بكر وعمر والزبير وأمثالهم، وإن كان فضيلة فلم قعدوا عنها؟ فالجواب: أن من سُئل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الآية، ولما روى أبو هريرة وعمرو بن العاص

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ سُئِلَ وَعَلِمَ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**» وأما من لم يسأل فلا يلزم التبليغ إلا في القرآن وحده، فقد قال سحنون إن حديث أبي هريرة وعمرو هذا إنما جاء في الشهادة والصحيح عندي ما أشرنا إليه من أنه إن كان هناك من يبلغ اكتفى به وإن تعيَّن عليه لزمه، وسكت الخلفاء عن الإشارة بالتبليغ لأنهم كانوا في منصب من يرد ما يسمع ويمضيه، مع علمهم بعموم التبليغ فيه، حتى إن عمر كره كثرة التبليغ وسجن من كان يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بينا تحقيقه في شرح الحديث الصحيح. وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في فضيلة التبليغ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا**»، والله أعلم.

وأما التكفير لإمام الأولياء فلا شك أن الكفر باء به أحدهما، فقد روى مالكٌ في الموطأِ عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»، كما روي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**».

ثم قال رضي الله عنه:

أليس قال الشيخ في الإفادهْ قولًا روتْه العلماء السادهْ
إذا سمعتم ما نمى لي فزنوه بالشرع فالذْ خالف الشرع ادفنوه
لأنه ليس يقول غير ما يوافق الشرع وما له انتمى
لكن عبارات الكرام الأوليا تخفى على أهل الحجاب الأغبيا

عقد الناظم في البيتين قول الشيخ رضي الله عنه: «إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه». ثم علل قولة الشيخ رضي الله عنه بأنه لا يقول إلا ما يوافق الشرع، لكن عبارات الأولياء رضوان الله عليهم تخفى على أهل الحجاب.

والأغبياء جمع غبي، قال في تبصرة الأذهان:

وليس ما يخاطب الذكي به كما يخاطب الغبي

قال:

ورب قـــول جـــا عـــن الأكـــابر باطنــــــه مخــــالفٌ للظــــاهر
لأنمـــــا عبـــــارة الـــــولي إشـــــارة للحــــاذق الــــذكي

رُبَّ للتكثير أي كثير ما يأتي من كلام أكابر الرجال العارفين والعلماء أقوال ظاهرها لا يوافق الشرع، وباطنها في غاية الصواب. وإذا تقرر هذا وثبت، فسأجمع لك جملةً من أقوال الأئمة الصوفية رضوان الله عليهم، بعضها له وجه صحيح، وبعضها لا وجهَ له، إلّا أنا إنها افتراء على من نسب له.

فأقول:

ومما نقل عن الشيخ أبي يزيد قوله: طاعتك لي يا رب أعظم من طاعتي لك. ونقل عنه أيضا أنه قال: بطشي أشد من بطش الله بي. وقال لبعض مريديه: لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألفَ مرة. وقال أيضا: سافرت من الله إلى الله.

ومما نقل عن الجنيد رضي الله عنه قوله: العارفون لا يموتون، وإنما ينقلون من دار إلى دار؛ والله يقول ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾. ونقل عنه أيضا أنه قال: ما في الجبة إلا الله.

ومما نقل عن الغزالي أنه قال: ليس في الإمكان أبدع مما كان.

ونقل عن الشيخ محيي الدين رضي الله عنه أنه قال: حدثني قلبي عن ربي، أو حدثني ربي عن قلبي، أو حدثني ربي عن نفسه تعالى، بارتفاع الوسائط.

ومما نقل عن القوم قولهم: اللوح المحفوظ هو قلب العارف، وقولهم: دخلنا حضرة الله، وخرجنا من حضرة الله.

ومما أشاع بعضهم عن الغزالي ولم يصح نقله عنه قول بعضهم أنه قال: إن لله عبادًا لو سألوه أن لا يقيم الساعةَ لم يقمها، وإن لله عبادًا لو سألوه أن يقيم الساعة الآن لأقامها. فإن مثل هذا كذبٌ وزور. قال الشعراني رضي الله عنه: وقد رأيتُ كتابا مشحونا بالعقائد المخالفة لأهل السنة والجماعة، صنفه بعض الملحدين ونسبه إلى الإمام الغزالي، فاطلع عليه الشيخ بدر الدين بن جماعة فكتب: «كذب وافترى من أضاف هذا الكتاب إلى حجة الإسلام».

وكذلك ذكر الشيخ مجد الدين الفيروزاباذي أن بعض الملاحدة صنف كتابا في تنقيص الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وأضافه إليه، ثم أوصله إلى الشيخ جمال الدين ابن الخياط اليمني، فشنع على الشيخ أشد التشنيع، فأرسل إليه الشيخ مجد الدين يقول: إني معتقد في الإمام أبي حنيفة غاية الإعتقاد، وصنفت في مناقبه كتابا حافلا، وبالغت في تعظيمه إلى الغاية، فأحرق هذا أو اغسله، فإنه كذب وافتراء علي.

ومما لم يصح نقله عن أبي يزيد رضي الله عنه ما نقله بعضهم أنه قال: لو شفعني الله تعالى في الأولين والآخرين لم يكن ذلك عندي بكبير، غاية الأمر أنه شفعني في لقمة طين.

انظر توجيه الأقوال السالفة في المنن، وأما الأقوال الأخيرة فلا وجه لها لأنها مفتراة كما بينه. فهذا معنى قول الناظم: ورب قول، البيت.

قال الشعراني: ومن خاصية طريق القوم أن الصادق من المريدين إذا دخل طريقهم يعرف جميع ما اصطلحوا عليه بالخاصية من أول قدم يضعه في طريقهم، حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح اهـ. وقد صدق رضي الله عنه، فلذلك لا يقلقنا إنكار المنكرين ولا تهجين المبغضين، أنترك يقين ما عندنا لظن ما عند هؤلاء الكاذبين المكذبين عبيد الأهواء، تعسا لهم إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

ثم قال:

وشـــيخنا لمـــا مـــن الكمـــال أيـــده الإلـــه ذو الجـــلال
مـــا حـــاد عـــن هـــدي شـــفيع البشـــــــــــــــر فـــي قولـــه وفعلـــه والأثـــر

يعني أن الشيخ رضي الله عنه أيده الله تعالى بالكمال، حتى ما مال عن هدي المصطفى وسنته قولا وفعلا، كرامة له من الله الوهاب، فأفعاله كلها موافقة للسنة الغراء وأقواله كذلك، كل ما صح عنه فله معضد من السنة ظاهرا أو خفيا أو مستنبطا. وانظر ما قال علي القاري في شرح الشفا في قوله: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا**»، ولمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا**»، وفي رواية: «**مَنْ أَدْخَلَ فِي دِينِنَا**» وهو كذلك، وفي أخرى «**فِي أَمْرِنَا هَذَا**» على ما في رواية صحيحة، أي هذا الأمر الكامل الذي لا يحتاج إلى زيادة إحداثٍ «**مَا لَيْسَ**

مِنْهُ»، أي شيئا لم يكن له من الكتاب والسنة معضد ظاهر أو خفي ملفوظ أو مستنبط، وفي نسخة «**مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ**»، أي ذلك المحدث أو ذلك الشيء المحدث «**رَدٌّ**»، أي مردود غير مقبول. وهذا الحديث أصلٌ في الاعتصام بالكتاب والسنة ورد الأهواء والبدعة اهـ منه بلفظه.

وإذا كان ما استنبطه العلماء المجتهدون معدودا من السنة، فما استنبط العارفون أولى من أن يعد من السنَّة،إذ هم أدرى الناس بمراد الحقّ ومراد النبي صلى الله عليه وسلم. قال الشعراني في أول الطبقات: ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه، أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء، فيستنبط فى الطريق واجبات ومندوبات ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى نظير مايفعله المجتهدون، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئا لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولي الله تعالى حكما لم تصرّح الشريعة بوجوبه، كما صرح بذلك اليافعى وغيره. وإيضاح ذلك أنهم كلهم عدول فى الشرع اختارهم الله تعالى لدينه، فمندقَّ قَ النظر علم أنه لايخرج شئ من علوم أهل الله عن الشريعة، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة وهى وصلتهم إلى الله عز وجل فى كل لحظة، لكن استغراب من لا له إلمام بأهل الطريقة أن علم التصوف من علم الشريعة كونه لم يتبحَّرْ فى علم الشريعة اهـ منه بلفظه. ولكن الخضر لا يرى غير زعمه الكاذب. وكان سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه كما في رسالة الآداب: يقول أولى الناس بالمقت عالم فاجر كثير الجدال، لا يرى غير زعمه ودعاوى وهمه، إن تكلم جار، وإن سكت حار. وكان رضي الله عنه يقول: من علامة الطرد عن حضرة أهل الله أن لا تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله. وذكروا بين يديه واحدا من علماء عصره وأثنوا عليه، فقال: دعونا من ذكر أهل الطرد، فقالوا: كيف يا سيدي وهو من علماء الإسلام؟ قال: ليس له من العلم إلا الاسم، فقالوا: كيف؟ فقال: هل رأيتم محبا لله يثقل عليه تكرار اسم محبوبه، ويضيق صدره إذا أمر بذلك؟ فقالوا: لا، فقال: يشق على الواحد منهم أن يقال اترك درسك في النحو واللغة أو في هذه المسائل التي لا تعرف لها دليلا من الكتاب والسنة وتعالَ نذكر الله عز وجل ساعة، وقد قال «**أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي**» فكل من لم يقدر على المجالسة مع الله فهو مطرود عن حضرة الله، قالوا: يا سيدي اشتغالهم بالعلم خير على كل حال، قال: صحيح، ولكن كلامنا في أهل حضرة الله عز وجل لا في حضرات أحكامه، وفرق بين من مشهوده ذاته وبين من مشهوده أسماؤه وصفاته، فإن أحدهم يموت وهو بين أصحاب الأحكام من الخلق، لا يشهد

الحق إلا عند موته، بخلاف من يشتغل باسم الذات فلا يزال يذكر حتى يجتمع بصاحب الاسم، إذ الاسم لا يفارق المسمَّى، بخلاف الأحكام.

وفي كتاب اليواقيت: وسُئل الإمام محيي الدين النووي عن الشيخ محيي الدين بن العربي فقال: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت، ولكن الذي عندنا أنه يحرم على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عز وجل، ويجب عليه أن يؤول أفعالهم وأقوالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم، ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق. قال في شرح المهذب: إذا أول فليؤول كلامهم إلى سبعين وجها، فإن لم يقبل كلامهم تأويلا منها فليرجع على نفسه باللوم ويقول لها: يحتمل كلام أخيك سبعين وجها ولا تقبلي منه تأويلا واحدا، وما ذاك تعنت اهـ.

ولولا خوف الإطالة لجلبت لهذا المنكر من أقوال الأئمة ما لا قبل له به، وفيما ذكرنا كفاية في حل ما عقد الناظم.

ثم قال رضي الله عنه:

حاشـــاه أن ينســـب للكتمـــان   مبـــرأ الإلـــه فـــي القـــرآن

أي حاشا سيدنا الشيخ رضي الله عنه أن ينسب الكتمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم، المبرأ منه في محكم التنزيل بقوله: **﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾** الآية. ومن تعنت هذا المنكر أنه لم يؤول كلام الشيخ بوجه، ولم يشم رائحة لمراده رضي الله عنه، وما سلم لكلام مريده الذي سلك طريقه وفهم مراده وهو صاحب الجيش، بل لم يقبل إلا تأويله بهواه، ولكن أرغمناه بأننا إن تمشينا على زعمه فتبليغ خاصية بعض الأعمال غير واجب على النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم قال رضي الله عنه:

ولـــم يقـــل بأنَّـــه قـــد كتمـــا   فضـــل صـــلاة فـــاتح بـــل ذو العمـــى
ممـــوه لقولـــه بالباطـــل   لكـــي يغـــر كـــل غِـــرٍّ جاهـــل

المموه من موّه تمويهًا، إذا أخبر بخلاف الواقع.

والغِرُّ من لا تجربة له.

وتمويهه كونه يصدّ عن سبيل اللهِ، ويحارب أولياء الله وآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم حسدا وبغضا، وهو يظهر أنّه متمسك بالسنة وحام حماها، وخادم الشريعة المطهرة، ليغُرَّ الجهلاء وضعفاء العقول، فإنه لو ترك تلبيسه وصرّح بحقيقة ما عليه من قصد تنقيص أهل الله لأراح الناس، لكنّه في صورة العالم السني المنتصر لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعيد من ذلك.

وربما صدق بعض الأقوال التي أنكرها لشيخنا رضي الله عنه لأحد ممن تقدمه وقصده التلبيس، لأنه لا يصح أن يطلع على ما لهم حتى يعرف أن هذا صادق فيما يدّعي وهذا كاذب كافر، وهو لم يشاهد أحدا منهم ولا سلك طريقهم، فنعوذ بالله من الجراءة على الله وسوء الظن بعباد الله تعالى.

ثم قال:

مـــا قـــال إلا أنهـــا تـــأخرت للـزمن الـذي بـه قـد أظهـرت

ما قال شيخنا رضي الله عنه إلا أن صلاة الفاتح لما أغلقَ تأخر ظهورها إلى الزمن الذي أظهرها الله فيه، وهو الفاعل المختار لا يسأل عما يفعل، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرا.

قال الشهاب الخفاجي في شرحه لحديث: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» بعد كلام: فلا ينافيه حديث «**أمتي كالمطر لا يُدرى الخيرُ في أوّله أم في آخره**»، فإن هذا من وادٍ وذلك من وادٍ آخر. وهذا إشارة إلى أنه قد يجيء في الأمة من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه، وهذا بالنظر لأفراد مخصوصة، وذلك بالنظر لمجموع العصر، وشتَّان ما بينهما، ولذا عبّر بالقرن اهـ من نسيم الرياض بلفظه.

وقال أبو المواهب التونسي رضي الله عنه كما في الرماح: وقد يعطي الله من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر، فإن الله تعالى قد أعطى محمدا ما لم يعط الأنبياء قبله، ثم قدَّمه في المدح عليهم.

وقال الشيخ زروق رضي الله عنه في تأسيس القواعد: النظر للأزمنة والأشخاص لا من حيث أصل شرعي أمرٌ جاهليٌ حيث قال الكفار ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ فردَّ الله تعالى عليهم بقوله ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ**﴾ الآية، وقالوا ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا**

عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ فردَّ الله تعالى عليهم بقوله **﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾** الآية، فلزم النظر لعموم فضل الله تعالى من غير مبالاة بوقتٍ ولا شخص، إلا من خصَّه الله تعالى به، والأولياء في ذلك تبع للأنبياء، لأن الكرامة شاهد المعجزة، والعلماء ورثة الأنبياء في الحرمة والرحمة وإن تباينا في أصل الفضل فافهم. انتهى منه.

قلتُ: وكثيرا ما يقول هذا المنكر: هذا الرجل الذي في القرن الثاني عشر، كأنه يقول إن ذلك القرن لا يختص بفضله فيه من يشاء من عباده، إنه الجهل والعمى، فهوكما قال البوصيري في حقِّ اليهود:

رَاهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ فِي الْخَلْقِ فَاعِلًا مَا يَشَاءُ

قال الناظم:

إذ كل حكم قد أنيط بسبب	تأخر الحكم لذلك السبب
كثلة تأخرت وقد علتْ	على التي توسطت وفضلت
ففضلها يأتي لدى زمانها	وليس يوجد بلا وجدانها
كذاك فضل ذي الصلاة عُلقا	على الذي بفضلها قد رزقا
أعاذنا الله من الحرمان	من فضله وموجب الخسران

أنيط عُلق.

والسبب ما يلزم من وجوده الوجودُ ومن عدمه العدمُ لذاته كزوال كزوال الشمس لوجوب الظهر مثلا.

والثُّلة بالضم الجماعة من الناس.

يعني والله أعلم أن الأحكام الإلاهية كلَّها معلقة حكمة من اللهِ العزيز الحكيم، وكلُّ حكم متوقف على السبب الذي جعله الحق تعالى له، كالثلة المتأخرة من هذه الأمة وهي مفضَّلة على الوسطى منها، وفضل تلك الثلة لا يأتي إلا في زمان تلك الثلة وإليها الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: «**إن من أمتي قوما يعطون مثل أجور أولهم الذين ينكرون المنكر**» وحديث: «**أمتي كالمطر**»، وسيأتي الكلام على هذا الباب مستوفى إن شاء الله تعالى.

وأشار الناظم إلى قوله تعالى: **﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ،وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾** الآية وما روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن أمتي**

ثلثا أهل الجنة والناس يومئذ عشرون ومائة صف، وإن أمتي من ذلك ثمانون صفا» اهـ انظر الجواهر الحسان للإمام العارف بالله الثعالبي.

وقوله: كذاك فضل ذي الصلاة، البيت، أي أخر المولى الفاعل المختار فضل ذي الصلاة إلى من رزقه بفضلها تفضلا من الله الوهاب، ولم ينقص الذين تقدموا شيئًا من أجورهم، ولكن هذا فضله يعطيه من يشاء، جعلنا الله من أهل فضله، وأعاذنا من الحرمان والخسران.

وهنا يستحسن ذكر آيات تدل على وجود الدائرة الفضلية التي تفضل الله بها على الشيخ رضي الله عنه وأصحابه على رغم أنف من يأبى:

قال تعالى: **﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**، وقال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**، وقال تعالى: **﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾**، وقال تعالى: **﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾**، وقال تعالى: **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾**، وقال تعالى: **﴿وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾**، وقال تعالى **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾** الآية، وقال تعالى: **﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** إلى قوله: **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾**، وقال تعالى: **﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**، **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾**، **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾** إلى قوله: **﴿وَفَضْلٍ﴾**، وقال حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام: **﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾**، وقال تعالى: **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾**، وقال تعالى: **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**، وقال تعالى: **﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾**، وقال تعالى: **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾**، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾**، وقال تعالى: **﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾**، وقال تعالى: **﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ﴾** الآية،

وقال تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ،ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وفي حديث البخاري الإشارة إلى هذه الدائرة الفضلية، لأنه صلى الله عليه وسلم قال في آخر الحديث لما ذكر تضعيف أجور أمته على الأمم السالفة قال: قال أهل التوراة: ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا، قال: هل ظلمتم من أجركم شيئا؟ قالوا: لا، قال:فَذَلِكَ فَضْلِيأُوتِيهِ مَنْأَشَاءُ.

وانظر الكلام على هذه الدائرة في جواهر المعاني والرماح، تعلم أن الله هو الكريم المنان، وهذا المنكر حمله فساد رأيه على اعتقاد أن الله لا يُظْهِرُ شيئا من خلقه بعد الصدر الأول، وأن كل فضل ناله أحد من عباد الله يكون به مثل الصحابة رضوان الله عليهم، ولم يفهم ما قال سيدنا من أن أعمال العاملين بَعْدَهم تكون في موازينهم، فهم لا يُدرَكون أبدا من غير نزاع. لو كان كل ما لم يظهر في الصدر الأول ولم ينصّ عليه الكتاب والسنة صريحًا لا يكون،لو كان ذلك إذًا لا يكون هذا المنكر ولا أبوه. فما روى أحدٌ من رواة الحديث أن سيأتي مايابى وسوف يلد ولدا يُسَمَّى الخضر يقتلان مؤمنا متعمديْن،ثم بعد ذلك يجول الخضر في البلدان ويتملّق للملوك، وينكر على الأولياء الأبرار، ويسب آل البيت، فكيف يمكن وجود هذا المنكر ولم يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر؟!

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنما الأهواء عمَّت فأعمت

قد انتهى الجواب عن مسألة الكتمان.

وحاصل الجواب فيها على ثلاثة أقسام:

-الأول: أن الورد الذي ذكر الشيخ أتى الأمر به في القرآن والحديث، فهو داخل فيما بلّغ.

-والثاني: أن الشيخ لم يقل شيئًا يدل على نسبة الكتمان للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو رضي الله عنه أدرى الناس بما يستحيل في حق النبي صلى الله عليه وسلم، وأشد الناس اعتناء بتعظيمه وتوقيره، فمدعي نسبة الكتمان من شيخنا للنبي فهو الأفاك الأثيم.

-والثالث أنَّا إنْ سلمّنا دعوى أنَّ الشيخ يُفهم من كلامه أن يُعلمه النبيُّ شيئًا لم يعلَم به أصحابه فذلك غير مستحيل في حقه، إذ يمكن أن يكون مما خُيِّر في تبليغه وكتمه، إذ قد رُوِيَ أنَّه صلى الله عليه وسلم أوحيَ إليه ثلاثة علم أمره الله بإفشائه وهو علم الأحكام، وعلمٌ خيَّره فيه وهو علم الأسرار، وعلم أمره بكتمه إلّا من بعض خواصِّه وهو علم سر القدر، الذي قال ابن

عربي:إِنَّ سر القدر لم يُطْلِع الله عليه نبيًّا مرسَلًا ولا ملكا مقربا إلا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم، قال: وقد أطلعني الله عليه بطريق الوراثة المحمديّة. انتهى الجواب عن تمويه هذا الكذاب، لقصد تنقيص هذا الجناب والله الموفق للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب.

ثم شرع الناظم في مسألة دخول الجنة في حق من رأى شيخنا رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين، فقال رضي الله عنه:

وأنكـــــر المنكـــــر أن شـــــيخنا	**يـــدخل مـــن رآه جنـــة المنـــى**
وذا بجنـــب فضـــل ربنـــا العلـــي	**نـــزر وكـــان الله ذا تفضـــل**
وتلـــك دعـــوى ســـبق الشـــيخ لهـــا	**قبـــلُالثعـــالبِ يُ ومـــا أجلهـــا**
ـــل الثعـــالبِي بســـتةٍ تلـــي	**رائيـــه زادهـــا علـــى التسلسُـــل**

أَخْبَرَ بأن هذا المنكر أنكر دخول من رأى الشيخ رضي الله عنه يوم الإثنين أو الجمعة الجنةَ، جهلا منه بأن ذلك نزر بجنب فضل مولانا جل وعلا **﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**. وقد تقدم الكلام على الدائرة الفضلية. وتلك الدعوى سبق لها الشيخُ عبدُ الرحمن الثعالبي، وزاد ستة تلي رائيه على التسلسُل.

قلتُ: أو سبعة، فإنَّ سيدي محمَّد بن ناصر الدرعي كان يحكي بسنده إلى الثعالبي رضي الله عنه أنه قال: من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة بشرط أن يقول كلٌّ لمن رأى: اشهَدْ لِّي رأيتُكَ، فيشهد له، إلى آخر كلام اليوسي في محاضراته.

وممن ادَّعى هذا المقام أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه فقد حكى في الرماح أنَّ بعضَ السلاطين زار ضريحَه رضي الله عنه وقال: هل هنا أحد ممن اجتمع بأبي يزيد؟ فأشير إلى شخصٍكبير في السنّ كان حاضرا هناك، فقال له السلطان: هل سمعت شيئا من كلامه؟ قال: نعم قال «من رآني لا تحرقه النار». فاستغرب السلطان ذلك، فقال: كيف يقول أبو يزيد ذلك، وهذا أبو جهلٍ رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحرقه النار؟ فقال ذلك الشيخ للسلطان:إِنَّ أبا جهلٍ لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما رأى يتيم أبي طالب، ولو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحرقه

النار. ففهم السلطان كلامه، وأعجبه هذا الجواب منه. أي أنه لم يره بالتعظيم والإجلال، واعتقادِ أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو رآه بهذه العين لم تحرقه النار، ولكنَّه رآه بعين الاحتقار واعتقاد أنه يتيم أبي طالب، فلم تنفعه تلك الرؤية اهـ.

وقال الطبراني: «**إن لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها لعلَّ أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا**». فيا فوز الذين نهضوا إليها، وتعرضوا لها، واستمدوا من تلك النفحة مددا. وإذا عند ذكرهم كما في الأثر الموقوف والخبر المعروف، تتنزل الرحمات وعواطر النسمات، فما ظنك بمحبتهم وخدمتهم، والانحياز إليهم واللياذ بهم، ومصاحبتهم ومخالطتهم، ودوام النظر إلى طلعاتهم البهية! ومنهم من إذا نظر إليك نظرة رضًى تسعد سعادة لا شقاوة بعدها أبدا، ومنهم من إذا مرَّ على جماعة من العصاة فسلم عليهم أمنهم الله من عذابه، ومنهم من إذا نظر إليك تسعد وإذا نظرتَ إليه تسعد، ومنهم من إذا صليت خلفه تسعد، ومنهم من إذا أكل طعامك تسعد، ومنهم من إذا شربت من مائه تسعد، ومنهم من إذا أكلتَ طعامَهُ تسعد، ومنهم من إذا نكح منكَ تسعد وإذا نكحت منه تسعد، ومنهم من إذا أحببته تسعد، ومنهم من إذا سمعت اسمَه تسعد، ومنهم من إذا عاصرته تسعد، ومنهم من إذا أخذت ذكره تسعد، ومنهم من إذا خدمته تسعد، ومنهم من إذا دعوت له تسعد، ومنهم من إذا دعا لك تسعد، ومنهم من إذا شفع فيك تسعد، إلخ كلامه.

ثم قال: وكيف لا يسعد شخص تعلق بقوم جعلهم الله نواب أنبيائه ورسله، وبهم أقام أمر العباد، وبهم رُزق كلُّ مرزوق، وبهم يصرف البلاء والعذاب عن الخلق اهـ.

وبفهم ما تقدم يضمحل الإنكار، فلم يبق إلا التصديق، أو التسليم، أو إنكار كرامات الأولياء عموما. فمن أنكر وجود الكرامة أصلا سقط البحث معه، لكفره بتكذيب نصوص القرآن والأحاديث النبوية، فكرامات الأولياء كلها خارقة للعادة. وفي شرح تائية السلوك لعبد المجيد الشرنوبي ما نصه: حضر بعض الفلاسفة مجلسَ سيدي محيي الدين بن عربي ومعه بعض أكابر الصوفية في زمن الشتاء وبين أيديهم نار يوقدونها، فقال: إن العامة تقول إنَّ إبراهيم عليه السلام ألقي في النار فلم تحرقه، مع أن النار محرقة بطبعها، والحقائق لا تتبدل، وأنكر ما جاءت به الأنبياء من خرق العوائد، وتأوَّل قوله سبحانه وتعالى **﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾** بأنَّ النار في الآية عبارة عن غضب نمروذ، فهي نار الغضب لا النار

الحقيقية المحرقة. فقال له بعض الحاضرين: أنا أقوم لك مقام إبراهيم في هذا المقام لترجع عن إنكارك، أليست هذه النار المحرقة بطبعها؟ قال: نعم. فوضعها في حجر المنكر، وأمره أن يقلبها مدة، وهي لا تؤثر فيه ببركة من كانت هذه الكرامة على يده، ثم ردها في مكنها وقال له: قَرّبْ يدك منها، فقرب يده فأحرقتْهُ، فقال له: هكذا كان الأمر، فإنها مأمورة تحرق بالأمر وتترك الإحراق كذلك. فاعترف الفيلسوف ورجع عن إنكاره، ولكن بعد أن أحرقه الله بناره اهـ منه بلفظه.

ثم قال:

كـذلك الجيلـي لسـبعة أتـتْ	علـى التسلسـل كمـا عنـه ثبـتْ
ولـيس يُنكـر علـى الثعـالبي	ولا علـى الجيلـي أولُـو المناصـب
لأن ذا لـم يتصـف بـالمنع	إذ مـا نفـاه مـانع فـي الشـرع

أخبر رضي الله عنه أن القطب الكامل مولانا عبد القادر الجيلاني من جملة من ادعى تلك الخصوصية التي أنكر هذا المنكر، وزاد الجيلي من رأى من رآه إلى سبعةٍ.

قال: **وأولو المناصب**، أي المراتب العالية لا ينكرون على هذين الشيخين، إذ لا مانع عقلًا ولا شرعًا أن يكرم الله وليَّه بدخول الجنة لكل من رآه، وراثةً محمدية، إذ الكرامة كالمعجزة لا فرق بينهما إلا التحدي، هذا هو الصحيح كما في شرح خاتمة التصوف، وهو مذهب الجمهور، ورجحَهُ الغزالي والفخر الرازي والبيضاوي والنسفي والطوسي وإمام الحرمين وابن الصلاح وابن فورك والطبري وأبو نصر بن القشيري والعراقي واليافعي والزركشي وابن جماعة وأضرابهم، ومن حجتهم حديث: «**رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأبَرَّهُ**»، فإن الأبرار المذكور عام في كل مُقْسم به من أحياء الموتى وغيره. اهـ منه بلفظه. ورواية البخاري «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأبَرَّهُ**»، وأصل الحديث كما في ثلاثياته أن أنَسًا حدث أن الربيع، وهي ابنة النضر، كسرت ثنيَّة جارية، فطلبوا الإرشَ، وطلبوا العفوَ،فأَبَوْا، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم بالقصاص، فقال أنس: أَتُكسَرُ ثنية الربيع يا رسول الله، لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتَها. فقال: «**يَاأَنَسُ، كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ**»، فَرَضِيَ الْقَوْمُ وَعَفَوْا، فقالَ

النبي صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»** اهـ.

وبما تقدم حصحص لك أن منكر الكرامة خارق لإجماع الأمة، ومكذب للنبي صلى الله عليه وسلم، فيكون كافرًا، نعوذ بالله.

وقد صحَّ أنه صلى الله عليه وسلم قال: **«طوبى لمن رآني، ولمن رأى من رآني»** والحديث صحيح كما في الجامع الصغير، وإليه أشار الناظم بقوله:

وجاء في الخبر أن المصطفى	قد قال ذا وذاك أمر عُرِفَا
فما رواه جابر عن النبي	كذا أبو عيسى حكاه يا غبي
وربما تعدد القضية	لغيره ما لم تكن عينية
لكنما القطع للأنبياء	وقول الأولياء للرجاء

يعني أن أبا عيسى الترمذي أخرج عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«لَا تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِمًا رَآنِي أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي»**. ويمكن تعدد القضية لغير جابر من الصحابة.

والعينية المعينة لما ذكر الناظم أنَّ دُخُولَ الرائي الجنَّةَ معجزةٌ للنبي صلى الله عليه وسلم وكرامة، أتى بالفرق بين المقامين بأنَّ خبر النبي بذلك قطعي، حتم علينا أن نقطع بصدقه، بعكس الوليّ فإنا لا نقطع به، لكن نرجو صدق ما أخبر به الولي. قال في الوسيلة:

قَطْعُنَا بِمَا بِهِ الْوَلِيُّ	خَبَرَ كُفْرٌ عَكْسُهُ النَّبِيُّ

والصواب:

طْعُنَا بِمَا بِهِ النَّبِيُّ	أَخْبَرَ حَتْمٌ عَكْسُهُ الْوَلِيُّ

ثم قال رضي الله عنه:

وشيخنا لم يذكر أهل الكفر	وزادهم بعض من أهل العصر
وكون إيمان أخي الكفر ينال	بسبب الرؤية ليس بمحال
وامتحن الشيخ بذا يهودي	وبعدُ أسلم بلا جحود
وذا مترجم عن النبي	برغم أنف المنكر الغبي

يعني أن الشيخ رضي الله عنه أخبر أن الله أكرمه بأن من رآه في هذين اليومين من كل من يؤمن بالله ورسوله، يدخل الجنة، بشرط أن يحبّه ولا يعاديه بعد المحبة، ولم يذكر أهل الكفر، وإنما ذكرهم أبو المواهب السائحي العمري رضي الله عنه، وذلك لما بلغه أن بعض الكفار امتحن الشيخ رضي الله عنه لما بلغته هذه الكرامة السنية، قائلا له: يا سيدي أيّ يوم هذا؟ وكان أحد اليومين، فدعا له الشيخ، وأسلم بعدَ وفاة الشيخ، ومات في أحسن حال، وإليه أشار بقوله: وزادهم بعضٌ، الأبيات، وذكر قصة اليهودي في النظم برمتها، ثم قال: وذا مترجم عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما أخبر به سيدنا رضي الله عنه، والكلام مبسوط في البغية وغيرها من كتب الطريقة. وسيتضح لك في هذا الكتاب أن رؤية النبي والأخذ عنه ممكن، وهي من جملة الكرامات للأولياء، بل قال بعضهم كما سيأتي أنها لا يختص بها الصالحون، فالإنكار على من أخبر عن سيد الوجود جهل أو عناد أو نفاق، كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: إن الإنكار فرع من النفاق، قال المزني: بل هو النفاق كله، لأن الجحد ضد التصديق. قال الشعراني عقب هذا الكلام: فافهم يا أخي ذلك، وإياك والإنكار على أحد يدعي ممكنا من مقامات الرجال، والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين.

تتمة:

أقولُ: ما حمل هذا المنكر الجهول بسعة فضل الله، وسبق رحمته غضبه، وجلالة قدر النبي صلى الله عليه وسلم، على إنكار هذه الكرامة ونحوها، إلا ما خيلت له نفسه الأمارة بالسوء، من أنه لو صحَّ هذا لكان الأنبياء أولى به، وقد شقى أمم شاهدوا الأنبياء وربما كانوا من قربائهم، جهلا منه بما أجاب به الشيخ المتقدم الذكر للسلطان عن أبي يزيد رضي الله عنه، ولم يعلم أن تلك الكرامة وإن ظهرت على يد ولي، فهي من جملة كرامات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو (كلمة غير مقروءة) من كل أحد. قال: والكرامات منهم معجزات، البيت.

فإن قلتَ: لِمَ لَمْ يختصّ بها من عاصره وشاهده؟ قلتُ: فإذا يضيق جاهه، وحاشاه صلى الله عليه وسلم.

وهذا آخر الكلام في الجواب عن هذه المسألة.

ثم شرعَ يتكلم في مسألة دخول آخذيه، أي ورد الشيخ رضي الله عنه، الجنة، فقال:

وأنكر الجاهل ما قد نسبا	إمامنا إلى النبي المجتبى
من أن من أخذ وردَه الجسيمْ	يدخل في الجنة من فضل الكريمْ
وأين ذا مما روى الصحاح	عمن له الظفَر والفلاح
نبينا أن الذي قد ذكرا	كلمة الإخلاص مخلصا يُرى
في جنة الخلد بلا امتراء	وان على رغم أبي الدرداء
ولم يخص والداه ولد	ولم يعين أبيضا من أسود

ألفاظ الأبيات في غاية الوضوح. أخبر رضي الله عنه أن هذا المنكر أنكر ما قال شيخنا من أن النبي صلى الله عليه وسلم ضمن له دخولَ الجنة لكل من أخذ ورده الجسيم، وذلك من فضل الله الكريم الواسع. ثم قال رادًّا له: أين هذا الإنكار مما روي في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم بأن: «**من قال لا إله إلا اللهُ مخلصا دخل الجنة**»، ولم يخصص كلًّا ولم يعيّن.

قلتُ: يشير بذكر أبي الدرداء إلى ما روى أبو داوود في سننه، والطبراني في كتاب الدعاء، وأبو يعلى، وابن مردويه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا**» وقد كانت شَقَّتْ عليهم الآية التي قبلها ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾، فأردت أن أبشر أصحابي، قال: قلتُ يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، ثم استغفرَ غفر الله له؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قلتُ يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، ثم استغفرَ غفر الله له؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قلتُ يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قال: «**نَعَمْ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ عُوَيْمِرٍ**».

وفي كلام الناظم توسع حتى احتج برواية أبي الدرداء، وهي ما فيها إلا ذكر المغفرة لأهل الاستغفار، لكن المغفرة تستوجب الجنة، ويصحّ أن يحفظ الناظم رواية عن أبي الدرداء فيها ذكر دخول الجنة، وإلا فالخطب سهل، والأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصى، ولا بأس بإيراد بعضها ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة: فمنها ما رواه أبو منصور الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: «**ثمن الجنة لا إله إلا الله، وثمن النعمة الحمد لله**»؛ ومنها ما صح في البخاري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**أَسْعَد النَّاس بِشَفَاعَتِي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه**»؛ ومنها ما روى زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة**» قيل يا رسول الله وما إخلاصها؟ قال: «**أن تحجزه عن محارم الله**» أخرجه الترمذي؛ وقال صلى الله عليه وسلم لعمه: «**قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**». وسيأتي مزيد بسط في فضل هذا الذكر في الباب الآتي إن شاء الله تعالى.

ويستأنس هنا بذكر ما روى أبو عمر بن عبد البر في كتابه المسمى ببهجة المجالس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من وعده الله على عمل ثوابًا فهو مُنْجِز له ما وعده، ومن أوعده على عمل عقابًا فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له**»، وعن ابن عباس مثله اهـ.

قلتُ: وفي القرآن آية تعضد هذه الأحاديث، منها ما قال تعالى في ذم أهل النار ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ**﴾، وقال تعالى ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**﴾ إلى قوله تعالى:﴿**فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ إلى قوله: ﴿**الْعَامِلِينَ**﴾. قبح الله من لم يصدق بما وعده الله ورسوله به، فهو آيس من رحمة الله تعالى نعوذ بالله. .:.والتصديقُ بخبر الله ورسوله ليس هو الخوف بل هو اليأس، نعوذ بالله.

فبهذا تعلم أن الجكني إما أن يكون جاهلا جدًا حتى إنه لم يقف على الأحاديث المتقدمة والآيات، أو يشك في خبر الباري جل وعلا وخبر نبيه، لأنه عرف يقينا أن ورد الشيخ الاستغفار، والصلاة على النبي، ولا إله إلا الله، فأنكر ما قال الشيخ أن العامل بورده يدخل الجنة، وهو خبر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم له، فجرَّه سوء أدبه إلى تكذيب الباري الفعال لما يريد، عافانا الله مما ابتلاه به وجميع إخواني المسلمين. وبهذا تعلم أن المنكر لا يزال ينكر الباطل حتى ينكر الحق، ولا يكفيه إنكار الحق حتى يفتري ويسبَّ الأولياء والعلماء الأتقياء، جراءة منه على الله مدَّعيا أنه ولي الله ورسوله ﴿**وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ**﴾. .:ثم بَحَثَ في إِنْكَارِهِ أخذ ورد الشيخ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما جر إليه هذا الإنكار من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم صريحًا لا ضمنًا،

وهو قرَّر في كتابه أن كل من قال قولة مكذبا له كفر، وتقدمه في هذه القولة الشنيعة إمامه وشيخه الكُمْيَلَيْلِيّ، قال هو:

وصحّ أن يخاطب التجاني شيطانه من جهة العدناني

فقال هو أن الشيطان تمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال أن لا مانع وارد في الشرع في هذا، كيف يكون لا مانع من الشرع وقد قال الشارع صلى الله عليه وسلم: «**فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي**»، أي لا يستطيع ذلك لأنه سبحانه وتعالى جعله محفوظا من الشيطان في الخارج، فكذلك في المنام، سواء رآه صلى الله عليه وسلم على صفته المعروفة أو غيرها على المنقول المقبول عند ذوي العقول.

فإن قيل: كيف لا يتمثل بالنبي، ويتمثل بالله تعالى على القول به؟ أجيب: بأن النبي بشر، فلو تمثل به لالتبس الأمر، والباري جل وعلا منزه عن الجسمية والعرضية، فلا يلتبس الأمر بتمثله به، كما في درة الفنون في رؤية العيون.

ثم إنه أنكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم أصلًا، مكذبًا لجميع الصالحين الذين وقع لهم، من غير دليل استدل به إلا كلام الأهدل، وكلام الأهدل أبطله العلماء الحفاظ، وناهيك بابن حجر رضي الله عنه فإنه قال: وقال البدر حسن الأهدل وقوعها للأولياء تواترت بأجناسها الأخبار، وصار العلم بذلك قويًا وانتفى عنه الشك، وما تواترت عليه أخبارهم لم تبق فيه شبهة. ثمأخذ يبطل ذلك كلّه ويفسده، ويعظم النكير على مُجَوِّزِهِ بلا حجة له فيه. قال ومما يبطل جميع ما دندن به وجاوز الحدَّ أن من المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قبره، وأنه لا يراه في اليقظة الرؤية النافعة إلا وليّ، إلخ ما قال. وسيأتي لنا مزيد بسط في تقرير إمكان الرؤية عند تعرض الناظم لها.

ثم لما قرر الناظم ما ورد عن الشارع صلى الله عليه وسلم أن «**من قال لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه دخل الجنة**»، قال:

وهي أساس ورده المبجّل فلا تكن عن ذكرها بمعزل
فمن يصدق قول أكرم الورى في فضلها صدق ما قد ذُكِرَا

يعني أن أساس الورد الموعود دخول الجنة لكل من أخذه ودام عليه: لا إله إلا الله. ثم قال: **فلا تكن عن ذكرها بمعزل**، وفيه جامع وفرع بأن من صدق أكرم الورى صلى الله عليه وسلم في جميع أخباره صدقه في هذا الذي ذكر الشيخ رضي الله عنه.

ونحـــو ذا يـــروي عـــن الجيلـــي يضـــا وقـــد أَســـند للنبـــي
عليـــه أزكـــى صـــلوات الله بـــلا مـــدى حصـــر ولا تنـــاه

يعني أن القطب الكامل مولانا عبد القادر الجيلاني سبق إلى هذه الدعوى، فإنه رضي الله عنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم ضمن له دخول الجنة لكل من أخذ ورده، فإن كان الذي أخبر به الجيلي ممكنًا فما أخبر به سيدنا رضي الله عنه كذلك، وأي دليل على صدق دعاوى الجيلي وكذب دعاوى شيخنا، وكلاهما عدل رضى أخبر بممكن. فبهذا ومثله تعلم أن هذا الجكني لا يرتبط بالحق متعنّت، إنكاره كله عناد، أوجبه كونُه حسودا محبًا للرياسة، والحسود لا يسود، فنظر لما منح القوم من القبول لخلوص طوياتهم فحدسهم، وظن أنه بسببهم يصد الناس عنهم إلى نفسه الأمارة، وهيهات الصيفَ ضيعتِ اللبنَ، إنا لا نستعمل في أمرنا من أراده، الحديث.

ثم قال:

وإنمـــا ينكـــر مـــا قـــد قـــالا منكـــر فضـــل ربنـــا تعـــالى

أي لا ينكر ما أخبر به الشيخان إلّا من ينكر فضل اللهِ مكذبًا لقوله جل وعلا **﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾**، **﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** صدق الله العظيم.

ثم قال:

وأنكـــر المنكـــرُ ذو الجهـــل غفـرانَ ذنـبِ آخـذ الـورد العلـي الجلـــــــــــــــــــي

ومما أنكر هذا الجكني الكذاب غفران الذنوب لكل من أخذ ورد الشيخ رضي الله عنه.

ثم قال:

أليس الاستغفار في ذا الورد	وهو مكفر بغير جحد
كما أتى نصا من القرآن	والسنة الغرا بلا بهتان
فليت شعري أجهلٌ غمره	أم حسد غطى هناك نَظَرَهْ
حتى تحكم على الجليل	وقد نفى ما جاء في التنزيل

يعني أن ورد الشيخ رضي الله عنه من أركانه استغفار، وقد قال تعالى **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾**، وقال صلى الله عليه وسلم: «**أُعطيتُ أمانين لأمتي: قال الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فإذا مت تركت فيهم الاستغفار**»، وعن أنس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره فقال: «**استغفروا**» فاستغفرنا، فقال: «**أتموها سبعين مرة**» فأتممناها سبعين مرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من عبدٍ ولا أمةٍ يستغفر الله سبعين مرة إلَّا غفر الله له سبعمائة ذنب، وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم أو ليلة أكثر من سبعمائة ذنب**»، رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي والأصبهاني. وقد تقدم ما روى أبو داوود في سننه عن أبي الدرداء، وروى ابن جرير وابن المنذر من طريق عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾** إلى **﴿رَحِيمًا﴾** قال: أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته، فمن أذنب ذنبا صغيرا أو كبيرا ثم استغفر الله يجد الله غفورا رحيما، ولو كانت ذنوبه مثل السموات والأرض والجبال.

وروى الطبراني هذا الحديث الآتي في حق من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو وإن لم يذكره الناظم من أركان الورد، «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْرًا صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مَائَةَ مَرَّةً، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَائَةَ مَرَّةً كتب اللهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بَرَاءة مِنَ النِّفاق وبَرَاءة مِنَ النَّار وَأَسْكَنَهُ الله يومَ القيامةِ مَعَ الشُّهداءِ**»، وروى الترمذي عن ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة**».

ولم يذكر الناظم الركن الثالث اكتفاء منه بما تقدَّم في الباب قبل هذا.
وأخرج البزار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن لله تعالى عمودا من نور بين يدي العرش، فإذا قال العبد لا إله إلا الله اهتز ذلك العمود، فيقول الله تبارك وتعالى اسكن، فيقول كيف أسكن ولم تغفر لقائلها، فيقول قد غفرت له**»، وعن أنس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا قال العبد المسلم لا إله إلا الله خرقت السموات حتى تقف بين يدي الله عز وجل، فيقول الله عز وجل اسكني، فتقول كيف أسكن ولم تغفر لقائلي، فيقول الله ما أجريتها على لسانه إلا وقد غفرت له**»، رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس اهـ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**حضر ملك الموت رجلا فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد له حسنة، ثم شق عن قلبه فلم يجد شيئا، ثم فك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله، فقال وجبت لك الجنة بقولك كلمة الإخلاص**»، إلى ما لا نهاية له من الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، فلذا استغرب الناظم هذا الإنكار من عامي أمي، لا سيما وهو يدّعي الإحاطة بعلوم الشرع الذي لا يحيط به بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا الفرد الجامع. قال: فليت شعري، البيت، هل غمره الجهلُ؟ أم غطى نظره الحسد؟.
قلتُ: كليْهما، وتجرأ فتحكم على الله وكذّب نصوص القرآن والأحاديث فوقع في البير التي حَفَرَ فرُبَّ هالك فيما دبر.

بحث في أن من أعمال البر ما يقتضى غفران الذنوب الكبائر منها والصغائر، ما تقدم منها وما تأخر:

قال الإمام جلال الدين السيوطي رضي الله عنه في تنوير الحوالك:
فائدة: ألف الحافظ ابن حجر كتابا سماه «الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة»، وسبقه إلى ذلك الحافظ المنذري، وقد رأيت أن ألخص أحاديثه هنا لتستفاد:
أخرج ابن أبي شيبة في مسنده ومصنفه، وأبو بكر المروزي في مسند عثمان، والبزار، عن عثمان بن عفان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج أبو عوانة في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله، رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا -وفي لفظ رسولا- غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج ابن وهب فيمصنّفه عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إذا أَمَّن الإمام فأمنوا فإن الملائكة تؤمن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج آدم بن أبي إياس في كتاب الثواب عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من صلى سبحة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا غفرت له ذنوبه كلها ما تقدم منها وما تأخر إلا القصاص**».

وأخرج أبو الأسعد القشيري في الأربعين عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ إذاسلَّم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، سبعا سبعا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج النسائي في الكبرى وقاسم بن أصبغ في مصنفه عن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من قام شهر رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج أبو سعيد النقاش الحافظ في أماليه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج أبو داوود، والبيهقي في الشعب، عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ووجبت له الجنة**».

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عبد الله هو ابن مسعود: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من جاءَ حاجًّا يريد وجه الله غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج ابن منيع وأبو يعلى في مسنديهما، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قضى نسكه، وسلِم المسلمون من لسانه ويده، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج الثعلبي في تفسيره عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج أبو عبد الله بن منده في أماليه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج أبو أحمد الناصح في فوائده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من سعى لأخيه المسلم في حاجته غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

وأخرج الحسن بن سفيان وأبو يعلى في مسنديهما، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من عبدين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم الا لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر**».

وأخرج أبو داوود عن معاذ بن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من أكل طعاما ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» اهـ منه بلفظه.

ولا يصح حمل الأحاديث كلها على الصغائر، لأنك تجد بعضها لا يقبل ذلك أصلًا، ومعلوم أن الذكر أفضل العبادات كما صرحت به الأحاديث الصحيحة، ففي جامع الترمذي عن أي سعيد الخدري قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرا**»، قلت: ومن الغازي في سبيل الله عز وجل؟ قال: «**لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسروا ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه**». وروى الترمذي وابن ماجه عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**»، قالوا: بلى، قال: «**ذكر الله تعالى**» اهـ قال الحاكم حديث صحيح الإسناد.

بحث ثان وهو ما يمنع أصحاب الشيخ رضي الله عنه الذين هم أكثر أهل الأرض ذكرا لله تعالى، وصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم الذي هو الوسيلة بين الله والناس، من أن يكونوا من جملة من وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدخلهم الجنة بلا حساب ولا عذاب:

ففي صحيح مسلم عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، قال: من هم يا رسول الله؟ قال: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

وأخرج أبو عيسى الترمذي عن أبي أمامة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي**». وخرجه ابن ماجه أيضا.

وخرج أبو بكر البزار، وأبو عبد الله الترمذي الحكيم، عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله سبحانه وتعالى أعطاني سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب**» فقال عمر: يا رسول الله فهلا استزدته، فقال: «**قد استزدته فأعطاني هكذا**»، وفتح أبو وهب يديه، قال أبو وهب: قال هشام: هذا من الله لا يدرى ما عدده.

وأخرج أبو نعيم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**وَعَدَنِي ربي أن يدخل الجنة من أمتي مائة**»، فقال أبو بكر: يا رسول الله زدنا، قال: «**وهكذا**»، وأشار سليمان بن حرب بيده، فقال أبو بكر: يا رسول الله زدنا، فقال عمر: إن الله عز وجل قادر على أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**صَدَقَ عمر**» اهـ من التذكرة. وما وقع من ذكر الحثية والحفنة ليس هو على ظاهره، فالله سبحانه منزه عن صفات الأجسام.

انتهى المبحثان، وبهما يبطل جميع ما دندن به ذلك الجكني الجهول الكذوب الحسود المغتر، ﴿**وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**﴾. لكن قال أشباهه قبله للنبي المنزَّه عن كل عيب ﴿**مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى**﴾ الآية، فلنا به صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة.

ثم قال الناظم:

أليس في الصحيح جا يقينا من قتل التسعة والتسعينا
وأكمل المائة بالذي نفى توبته فغفر الله الهفا

يعني ما خرج الشيخان: «**أنَّهُ كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُم رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفساً فَسَأَلَ عَنْ أَعْلم أهل الأَرْضِ، فَدلَّ عَلى راهبٍ، فأتاه فقالَ له إنه قَتَلَ تسعة وتسعين نفساً فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ لا، فَقَتَلَهُ فكمل بِهِ مَائَة، ثم سَأَلَ عن أعلم أهل الأَرْضِ، فدلوهُ على رجلٍ عالمٍ فقالَ إِنَّهُ قتلَ مائة نفسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ نَعَمْ ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا** -وجاء في الطبراني أن اسم الأرض نصرة- **فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى، فاعبد الله مَعَهُمْ ولا ترجع إلى أرضِكَ فإنَّها أرض سُوء، فانطلقَ حتَّى إذا بَلَغَ نصف الطَّرِيق أتاهُ الموتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لم يعملْ خيرًا قط، فأتاهم مَلَكٌ في صُورة آدمي فَجَعَلُوهُ حكمًا بينهم، فقال: قِيسُوا ما بَيْنَ الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهو له، فَقَاسُوهُ فوجدوهُ أدنى إلى الارض الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ**». وهذا دليل واضح في غفران الذنوب لكل من شاء الله تعالى.

ثم قال:

وأنكر الأداء عن أصحاب ذا الشيخ من خزائن الوهاب
حجرت واسعا ففضل الله وجوده ليس له تناه

يعني إن مما أنكره هذا الجكني أداء التبعات عن أصحاب الشيخ رضي الله عنه من خزائن الوهاب، وفي إنكاره ما ذكر تحجير الواسع جل وعلا. يشير إلى ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم سمع أعرابيا يقول: اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا، فقال صلى الله عليه وسلم: «**حَجَّرْتَ وَاسِعًا**». وفي تحجيره من سوء الأدب معه ما لا يخفى عند ذوي الألباب، إذ فضل الله لا غاية له ولا نهاية، ففي الحديث الصحيح عن أبي ذر: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَا سَأَلَ لَمْ ينقصْ ذَلِكَ من مُلكي شيئًا إِلَّا كَمَا**

يَنْقُصُ البحرُ أنْ يغمسَ فيهِ الْمِخْيَطُ غمسة واحدة» إلخ الحديث بطوله، انظر صحيح مسلم.

ثم قال الناظم:

وجـاء أن المصـطفى قـد سـألا	**إلهنـا جـل الإلـه وعـلا**
أداءَ مـا مـن تبعاتنـا انتهـك	**فـآل الأمـر أن أجيـب فضـحك**
ومـا سـوى الإشـراك فـالغفران	**يرجـى لـه جـاء بـه القـرآن**
أنكـر فضـل الله مـن أنكـر ذا	**وللقـرآن والحـديث نبـذا**

آل بمعنى صار.
والانتهاك المبالغة في الظلم.
ونبذ رمى.

يشير إلى الحديث الذي في المواهب: روى ابن ماجه، وأبو داوود من الوجه الذي رواه منه ابن ماجه ولم يضعفه، عن عباس بن مرداس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة، فأجيب أني قد غفرت لهم ما خلا الظالم فإني آخذ للمظلوم منه، قال أي يا رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم، فلم يجب عشيته فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء، فأجيب إلى ما سأل فضحك صلى الله عليه وسلم أو قال تبسم، فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: بأبي أنت وأمي إن هذه الساعة ما كنت تضحك فيها، فما الذي أضحكك أضحك الله سنك؟ قال: **«إن عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب دعائي وغفر لأمتي، أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور، فأضحكني ما رأيت من جزعه»** اهـ.

قلتُ: وهذا الحديث أدل دليل فيمن ادعى الأداء ولو من عند نفسه، ولا سيما من جمع معه سماع الوعد به من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما، إذ من المقرَّر عند الأئمة أن ظواهر الشرع هي الجادة عند اختلاف الآراء واشتباك الأقوال اهـ. وكذلك آية **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** فلا عبرة بتخصيص لم يرد به نص عن الشارع صلى الله عليه وسلم، ومع ما تقدم كله لا موجب للإنكار على من أخبر بشيء ممكن، لأن غاية ما أخبر به أن القدرةَ الإلهية فعلت ممكنًا، فأنى لهذا الجكني أن يُكَذِّبَ خاتمة الأولياء، بل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم،

فإن أسته أضيق من ذلك، فقد نبذ القرآن والحديث وراء ظهره مع دعوى العلم بهما، فصار ضغثا على إبالة، وشيخنا رضي الله عنه ما ضره كثرة سب هذا الهالك وتكذيبه له قال قائل:

ما ضرَّ بحر الفراتِ يوما ... لِوغُ بعض الكلاب فيه

وقال:

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وحيث لا نصيب له من فهم أصل الشريعة، صار يسمى هذا المجدد الخاتم مشرّعا، والولي لا يأتي بشرع جديد إنما يأتي بفهم جديد، وقد تقدَّم ما قال الإمام علي كرم الله وجهه: أو فهم أعطيه رجل مسلم.

ثم قال الناظم:

وذكر الغبيّ من تَزْوِيرِهِ ... وقبح ما ألفه من جوره
على إمام الكمل الأعيان ... شيخي التجاني منبع العرفان
بأنه فضل ورده على ... آي كتاب الله جل وعلا
وذاك قول جاء بازدرائه ... بالأوليا وشدة افترائه

والتزوير كتب الزور.
والجور الظلم.

يعني أن هذا الجكني الغبي الكذوب من جملة ما زور وقبح ما ألف من أجل الجور والظلم على إمام الأولياء، الشيخ التجاني رضي الله عنه منبع العرفان، أنه فضل ورده على القرآن، معاذ الله وحاشا سيدنا رضي الله عنه، وهذا التزوير مبناه سوء الظن بالأولياء، والازدراء عليهم، والاستخفاف بحقوقهم، رضي الله عن سيدنا ونفعنا به آمين.

ثم قال:

وشيخنا ذلك ما سطَرَهُ ... في كتبه كلا ولا ذكره

يعني أن الشيخ رضي الله عنه لم يقل ذلك البتة، لأنه ما سطره ولا ذكره، فهو بريء مما رماه به هذا الخبيث، حتى إن الخلاف الذي وقع في

تفضيل بعض الدعوات المأثورات في بعض الأوقات لم يلتفت إليه، بل جزم رضي الله عنه بتفضيل القرآن مطلقا.

قال في خاتمة التصوف: وأفضل الذكر القرآن، قال الشارح: لحديث **«من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي مثل ما أوتي فقد استصغر ما عظم الله»**، ولحديث: **«إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها قراءة القرآن العظيم وذكر الموت»**، وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل أهل الدنيا. وقيل لابن مسعود إنك لتُقِلُّ الصوم، فقال: إنه ليشغلني عن قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحَبّ إليَّ منه. وروي أن سحنون رأى ابن القاسم في النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: وجدت عنده ما أحببتُ، قال: فأي أعمالك وجدت أفضل؟ قال: تلاوة القرآن، قال: قلت له فالمسائل؟ فكان يشير بأصبعه كأنه يُلَاشِيها، فكنت أسأله عن ابن وهب فقال لي: هو في عليين. وأفضلية القرآن على سائر الأذكار ما عدى طرفي النهار ففيهما قولان، قال سعيد بن المسيب الأفضل الذكر فيهما، وذكر الشافعية أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة ويومها أفضل من تلاوة القرآن ما عدا سورة الكهف ونحوها مما استثنى اهـ منه بلفظه.

ثم قال:

لكنه قال صلاة الفاتح	**في حق لاحن له أو جانح**
عن أمره ونهيه قد شردا	**خير له وذاك أمر وردا**
في لعن كل مستهين خاسئ	**في قول خير الخلق رُبَّ قارئ**
هنالك الصلاة أفضل لمن	**يلعنه القرآن في كل زمن**
لأن في الخبر صلى عشرا	**إلهنا عليه فهي أحرى**

اللاحن المخطئ.

والجانح المائل.

وشرد نفر.

والخاسئ المبعد.

يعني أن الشيخ رضي الله عنه قال إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح خير في حقّ المخطئ، الجانح عن طريق

الاستقامة، الشارد عن امتثال الأوامر واجتناب المنهيات. وذلك الذي ذكر الشيخ رضي الله عنه ورد ما يؤيده عن الشارع صلى الله عليه وسلم وهو قوله: «**رُبَّ قارئ للقرآن والقرآن يلعنه**»، وورد أن «**من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا**»، فهي أي الصلاة أفضل له من الدخول في لعن القرآن. وهذا الذي قال الشيخ في غاية الوضوح، وفي عين الصواب، فلم يبق لمنكر وجه إنكار إلا العناد والتعنت.

ثم بين الناظم وجه كلام الشيخ بقوله:

فلم يك التفضيل للذي تلي	**بل حسب التالي وذلك جلي**

يعني أن التفضيل على حسب حال التالي، وذلك أمر جلي مما تقدم في عشر صلوات من الباري جل وعلا ولعن القرآن.

فليتدبر ما إليه ذهبا	**إمامُنا من للعلوم انتسبا**
يجده أوضحَ لدى الأذهان	**من واضح الشمس لدى العيان**

أرشد كل من ينتسب إلى العلم بتدبر مذهب القطب التجاني، فمن تدبره وهو بصير يجده أوضح من شمس الظهيرة في الصيف صحوًا، ولكن مكفوف البصر لا يبصر ضوء الشمس، قال البوصيري:

تَوَلَّتْ وَمَا رَأَتْهُ وَمِنْ أَيْنَ تَرَى الشَّمْسَ مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ

وفي البيت إشارة إلى أن الشيخ رضي الله عنه مذهبه القرآن، قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** الآية.

ثم قال رضي الله عنه:

لكنما ذا الجاهل الغبي	**قد غره غروره الغوي**
فورد الهلاك فيما وردا	**وحاد بالإنكار عن سبل الهدى**

يعني أن هذا الجاهلَ، الغوي الكذوبَ، الضالَّ المضلَّ، غرَّه شيطانُه الغرور الغويّ، العدوُّ المضلُّ المبينُ، فورد في ورده الهلاك العاجل والآجل، ومال عن سبيل الهدى، أعاذنا الله من بلائه آمين.

ثم قال:

وقد نمى لبعضهم كلام لم يك في إيراده ملام
ن الحسود حيثما تحتج لَهْ بالكتب الأربعةِ المنزلةْ
لا ينثني عن ذكره مصمما ومال عن سبل الهدى إلى العمى

لعله يعني قول الإمام الحصوني، ونص كلامه لو قرأت على المنكر التوراة والإنجيل والزبور والفرقان والكتب السماوية لم يترك الإنكار.

ثم قال:

لم يدر أن شيخنا التجاني بحر علوم زاخر العرفان
أعاذنا الإله من غي الحسَدْ وما يؤدّي لهلاك ونكَدْ

يعني أن هذا المنكر لم يدر أن شيخنا هو بحر العلم والعرفان، أي حمله على أكاذيبه التي لا يعتقدها أدنى مسلم إلى شيخنا رضي الله عنه إلا جهله بالشيخ، ما أجهله بالشيخ أو أشد تجاهله، قال:

أجهالًا تقول بني لؤي لعمر أبيك أم متجاهلينا

وهذا هو الحسد والهلاك الذي استعاذ الناظم منهما والنكد الضيق.

ثم قال:

ورُبَّ تزوير له قد أبطله ما جاء عن قطب الرجال الكمَلَهْ

الكملة جمع كامل.

ورب للتكثير.

أي كثير مما زوّر أبطله ما حفظ عن الشيخ فهو لم يصدر منه إلا الصحيح المقبول عند ذوي العقول، كيف وطريقته طريقة الفقهاء والعلماء جهابذة النقد رضي الله عنهم أجمعين آمين.

ثم قال:

زوّر أن شيخنا قد فضلا — صلاة فاتح على من رتلا
عدد ختمات من القرآن — ولم يقل ذا شيخنا التجاني
معنى الذي قال مضى مكملا — بأنما الفضل بحال من تلا
وقد بنى الغبي بالتزوير — أساس ما رام من النكير
على كلام موهم كل غبي — يجهل ما ورد عن قول النبي

يعني أنه زور أن شيخنا فضل صلاة الفاتح لما أغلق على ختمات من القرآن، وذلك التفضيل ليس معنى كلام الشيخ رضي الله عنه، ومعنى كلامه هو ما تقدم من أنها أصلحُ لمن لم يستقم على الشرع، والاستقامة في هذا الزمان أعزّ من الكبريتِ الأحمر، فلذا قال الشيخ إنها تعدل ثواب كذا وكذا ختمة مع القطع بأن القرآن أفضل، فبينهما ما بين العبد وسيده، ولا إشكال في ذلك، وإن لم يفصل في ذلك المقام فقد فصل في غير ما موضع، ولو لم يفصل لكان التفصيل موكولا إلى العقل والعلم، أما ترى إلى قول أبي يزيد البسطامي لمريده: لأن تراني مرة خير من أن ترى ربك ألف مرة، ومعناه صحيح عند من يفهم مراده، وكذلك معنى كلام شيخنا صحيح على مراده رضي الله عنه.

ثم قال:

بل شيخنا قد قال كل حرفِ — من القرآن ما له من وصفِ

ولا بأس أن نورد هنا ما قال شيخنا رضي الله عنه في فضل التلاوة، ليعلم المنصف أنه رضي الله عنه بريء مما رماه به هذا الفاسق الدجال. قال رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين:

وأما مرتبة الظاهر من باطن الباطن، وهي تلاوة القرآن بالنظر إلى الجمعية العظمى، حيث لا أين ولا رسم ولا كيف إلا التغلغل الرباني والسر

الصمداني الذي لا يعقل ولا يعرف ولا تلحقه عبارة ولا تدركه إشارة. وصاحب هذه المرتبة للقرآن يستوعب جميع ما ذكر به ربنا على ألسنة العوالم من الأزل إلى الأبد، ولا تعرف لهذه المرتبة كيفية، ولا تعرف لها غاية ولا تدرك لها نهاية، وهي مرتبته صلى الله عليه وسلم دون غيره فقط في تلاوة القرآن. وأما ثواب القرآن فهو على مراتب بحسب مراتب الخلق، مرتبة المحجوب فليست مرتبة هذا أيضا كمرتبة الذي فتح عليه في أسرار الولاية الصغرى، وليست مرتبة هذا الولي الصغير كمرتبة العارف الذي وصل مرتبة الصديقية، وليست مرتبة العارف الذي وصل مرتبة الصديقية فيها كمرتبة القطب الفرد الجامع، فلكل مرتبة من هذه المراتب حد تنتهي إليه في ثواب تلاوة القرآن، ولكل مرتبة منها ظاهر وباطن، فظاهر المرتبة هو ما ذكر في الحديث على كون من قرأ القرآن على غير وضوء له بكل حرف عشر حسنات، وإن كان متوضئا في غير صلاة فله بكل حرف خمسة وعشرون حسنة، وإن كان متوضئا في صلاة جالسا فلكل حرف خمسون حسنة، وإن كان في الصلاة قائما فبكل حرف مائة حسنة، فهذه هي مرتبة الظاهر. وأما مرتبة الباطن فلا يبلغها حد ولا قياس، ولا ينتهي إليها قدر ولا مقدار، ولا يبلغ كنه وصفها أحد من كافة الخلق أبد الآبدين، فإن الحرف الواحد منه لو جُمعت الأذكار كلها والأسماء والصفات والحسنات وجميع العبادات من أول الدهر إلى آخره ما بلغ ذلك كله قدر حرف واحد منه فهذه هي المرتبة الباطنة اهـ كلامه رضي الله عنه وأفاض علينا من بحره، وبه ينحل البيت ولولا ذلك ما أتيت به لأنَّ كلامَه رضي الله عنه هو السر المصون، فلا يليق لأهل المجون، لكن من أنكر شيئا من فضل القرآن استرحنا منه للقطع بكفره، أعاذنا الله منه بمنِّهِ.

ثم قال الناظم:

مقسما له على أحوال ... أربعة حسب حال التالي
فمن يلاحظ كونه كلام ذات ... إلهنا ذات الصفات الكاملات
وما عليه دل من معاني ... علم وآداب ومن عرفان
وليس ذا إلا لعارف فكان ... في حقه أفضل الأذكار القرآن
وما تلاه بحضور القلب ... كأنه به مناجي الرب
ويفهم المعنى ويمتثل ما ... أمر يجتنب ما قد حرما

فـــدون الأول ولكـــن ارتقـــى إليـــه فـــي تفضـــيله ولحقـــا
ثالثهـــا مـــن لـــيس يـــدري المعنـــــــــــــــــــــــــــــى إن كـــان بالحـــدود منـــه يعنـــى
بـــالأولين لاحـــق لكـــن جـــدير بالانحطـــاط عنهمـــا ذا بكثيـــر
ومـــن تـــلاه غيـــر عامـــل بمـــا جـــاء بـــه جهلـــه أو علمـــا
فـــذا الـــذي القـــرآن قـــد يلعنـــه لأنـــه فـــي الأصـــل لا يحســـنه
وذا صـــــلاته علـــــى نبينـــــا فـــي حقـــه أفضـــل مـــن أن يلعنـــا
ولـــم يـــرد أن الصـــلاة تلعـــن قارئهـــا وذاك فضـــل يـــبن

عقد في الأبيات ما قسم به شيخنا رضي الله عنه أحوال التالين، قال رضي الله عنه:

أما تفضيل القرآن على جميع الأذكار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر أوضح من الشمس كما هو معلوم من استقراءات الشرع وأصوله، شهدت الآثار الصحيحة به. وتفضيله من حيثيتين إلخ ما عقد الناظم.

ثم قال الشيخ رضي الله عنه: لا أنها أرفع درجة من القرآن، فإن القرآن هو أفضل الدرجات في التقرب إلى الله تعالى. إلى آخر ما ذكر رضي الله عنه في جواهر المعاني.

فـــنهج ســـبيلي واضـــح لمـــن اهتـــــــــــــــــــــــــــــدى ولكنمـــا الأهـــواء عمـــت فأعمـــت

ومع هذا فكثرة الأجور لا تستلزم الأفضلية. قال في فتح الباري بعد كلام سيأتي ذكره ما نصه: على أن حديث «**لِلْعَامِلِ مِنْهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**» لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة، لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية اهـ منه بلفظه.

قلتُ: وفي شروح الرسالة، التي هي كتاب المبتدئين، عند قول صاحب الرسالة: ويستحب بإثر صلاة الصبح التمادي في الذكر والاستغفار والتسبيح والدعاء إلى طلوع الشمس أو قرب طلوعها والأصل في ذلك ما رواه الترمذي وحسنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: « **مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ**» اهـ. انظر هل يقتضي هذا أن هذا المستحب أفضل من الحج الذي هو أحد قواعد الإسلام الخمس، وما ورد من الأحاديث في فضل الحج يجل عن الحصر، ما أجهل هذا الجكني وأضله وأعمى

بصيرته. ومع ما تقدم من عدم التفضيل فتفضيل بعض الأذكار الواردة على القراءة أمر مشهور. ففي أذكار النووي: قال أصحابنا والقراءة خير من الدعوات غير المأثورات، وأما الدعوات المأثورات فهي أفضل من القراءة على الصحيح، وقيل القراءة أفضل منها اهـ منه بلفظه. وفي السراج المنير للعلامة العزيزي، في حديث: «**أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**» يعني هي أفضل من كلام الآدميين وإلا فالقراءة أفضل من التسبيح والتهليل المطلق فأما المأثور في وقت أو حال فالاشتغال به أفضل اهـ منه بلفظه. فهل هذا يجهله من أحاط بالشرع حتى إن ما لم يعلم مخترع أو مفترى، سبحانك هذا بهتان عظيم، ولذا قال العلامة العارف بربه خليفة شيخنا محمد فال بن باب متعنا الله به آمين:

ومن يقل إن الصلاة أكثر ... أجرا من القرآن لا يكفر
إذ كثرة الأجور لا تستلزم ... الأفضلية كما قد يعلم
مما حكاه النووي وابن حجر ... في الفتح أيضا نص ذلك ذكر

ثم قال الناظم:

قد ضل من أنكر ما ليس به ... يحيط علما فاتئد وانتبه

قوله: **فاتئد** من التيد وهو الرفق، يقال تيدك يا هذا أي اتئد، وتيد زيدا أي أمهله.

يعني أن من ينكر وهو جاهل فقد ضل الصراط المستقيم، ولكن هذا غرّه كثرة الجولان ودرس المجلدات مع قلبه الغافل وتوغله في المعاصي، فحرم العلم فلم يبق عنده إلا الاسم، فظن أنه عالم الدنيا، وشتان بينه وبين ذلك، ولله در الإمام البوصيري حيث يقول:

قُلْ لِلَّذِينَ كَلَّفُوا زِيَّ التُّقَى ... وتَخَيَّرُوا لِلدَّرْسِ أَلْفَ مُجَلَّدِ
لَا تَحْسَبُوا كُحْلَ الْعُيُونِ حِيلَةً ... إِنَّ الْمَهَا لَمْ تَكْتَحِلْ بِالْإِثْمِدِ
مَا النَّحْلُ ذللتِ الهِدَايَةُ سُبلَهَا ... مثل الحمير تقُودها للموردِ

ثم قال رضي الله عنه:

وجاء أن أربعا من المئينْ ... خصت بعلمها الكرام العارفونْ

مـــن العلـــوم وجميـــع العلمـــا   لـــم يعرفـــوا أســـماءها طـــرا كمـــا
أخبـــر عنـــه العـــارف الشـــعراني   أخـــو العلـــوم صـــاحب الميـــزان

أخبر العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه أنه أودع في كتابه «تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء» وهو واحد وسبعون ألف علم، كل علم منها لا يدرك له قعر. ثم ذكر منها في كتابه «در النظيم في علوم القرآن العظيم» نحو ثلاثة آلاف منها، ومن جملتها أيضا مائتا ألف علم وسبعة وأربعون ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعون علما، قال إن شيخه عليًّا الخواص أخبره أن الشيخ إبراهيم المتبولي أخرجها من سورة الفاتحة، ومنها أربعمائة علم وأحد عشر علما اختص بها العارفون، لم يعلم أحد من العلماء أسماءها فضلا عن الخوض فيها، وقال إنه حمله على ذكرها الشفقة على المنكرين اهـ.

ثم قال الناظم:

والشـــرط فـــي الإنكـــار علمـــك بمـــــــــــــــــا   حـــوت مـــذاهب جميـــع العلمـــا
كـــي لا تخطِّـــئ المصـــيبَ العالمـــــــــــــــا   بمـــا ذكـــرت فتكـــونَ آثمـــا

يعني أن الإنكار شرطه أن يحيط المنكر بجميع مذاهب العلماء، أي يحيط بوجوه الشريعة كلها، وإلا فلا يجوز له الإنكار، لأن من أنكر وهو جاهل يخطئ المصيبَ فيكون بذلك آثما، وقد روى الطبراني مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة وثلاث عشرة طريقة، ليس منها طريقة يلقى العبد بها ربه إلا دخل الجنة»** اهـ.

وقال في «البحر المورود في المواثيق والعهود»: أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نمكن أحدا من إخواننا يبادر إلى الإنكار على ما خالف نقل بعض العلماء إلا إن أحاط بجميع طرق الشريعة ولم يجد ذلك الحكم فيها، وهذا عزيز وجوده، كل ذلك سد لباب الإنكار بغير علم. ثم أورد الحديث المتقدم عن الطبراني. وقال ابن حجر: والصواب للمعترض أن يقول في عبارته: هذه العبارة تحتمل وجوها

ويثبتها، ثم يقول: إن أراد كذا فكذا، ولا يقول من أول وهلة هذا كفر، هذا جهل وخروج عن دائرة النصيحة التي يزعم أنه أرادها، ثم إنه لا يجوز الإنكار عليهم إلا بعد معرفة مدلول كلامهم، ثم معرفة اصطلاحهم، فإن اللفظ المصطلح عليه حقيقة عند أهله فيما اصطلحوا عليه، ثم تطبق ذلك الاصطلاح على ذلك المدلول وتنظر هل يطابقه أم لا. قال: وبحمد الله المنكرون عليهم كلهم جاهلون، إذ ليس أحد منهم أتقن علوم المكاشفات، بل ولا شم رائحةولا أحد منهم ملّك زمامه لأحد حتى أحاط باصطلاحهم اهـ.
قال الشعراني: من كان يخبر عما يشاهد يجب على السامع التصديق به إن كان مريدا والتسليم إن كان حبيبا.

وقوله:

والشرط في الإنكار علمك بما حوت مذاهب جميع العلما

قال في الإبريز: وإما أن يكون عالما بالمذاهب الأربعة، وهذا لا يتأتى منه الإنكار أيضا إلا إذا كان يعتقد نفي الحق عن غيرها من مذاهب العلماء، كمذهب الثوري، والأوزاعي، وعطاء، وابن جريج، وعكرمة، ومجاهد، ومعمر، وعبد الرزاق، والبخاري، ومسلم، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن المنذر، وطاوس، والنخعي، وقتادة، وغيرهم من التابعين وأتباعهم إلى مذاهب الصحابة رضي الله عنهم. وهذا اعتقاد فاسد، فاشتغاله بدوائه أولى من اشتغاله بالإنكار على أولياء الله تعالى المفتوح عليهم. وإذا وصلت إلى هنا علمت أن الإنكار لا يسوغ على الحقيقة إلا لمن أحاط بوجوه الشريعة، ولا يحيط بها إلا النبي صلى الله عليه وسلم والكمل من ورثته كالأغواث في كل زمان رضي الله عنهم. أما غيرهم فسكوتهم خير لهم لو كانوا يعلمون. اهـ منه بلفظه. ولكنهم لم يعلموا ففيه القياس الاستثنائي، فلذا قال الناظم:

لا سيما من ليس يعلم سوى إنكاره الحقَّ وتقليد الهوى
قد باء بالخسران والحرمان وبالشقا وسلب الإيمان
أعاذنا الله من البلاء بجاه طه ختم الأنبياءِ

يعني أنه تقرَّر أن لا يتأتى الإنكار ممن لا يعلم سوى المذاهب الأربعة، فكيف بهذا الجهول الذي لم يعلم مذهبا سوى مذهب إنكار الحق وتقليد هواه، فهواه قدوته، فباء بالخسر والحرمان، وبالشقاء وسلب الإيمان، أعاذنا الله مما ابتلاه به، بجاه ختم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، وبجاه سبطه

ختم الأولياء رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين، فهو كما قال الخليفة محمد فال ابن باب العلوي رضي الله عنه:

علـى العلمـاء ينقـد وهـو غمـر   ولا يـدري قبـيلا مـن بعيـدا
كقنفـذ إذ يتيـه علـى الأرانـب   بلـين المـس منفـردا ببيـدا

معلوم أنه لو كان عالما محقا وأراد أن ينكر شيئا من طريقنا لاجتمع بنا وأنكر علينا، فإن كان الحق معنا رجع عن إنكاره وسلم لنا، ولكنه تستر في مكان وقال ما قال مما هو ليس بإنكار إنما هو سب شيخنا رضي الله عنه فقط، ورميُه بما هو بريء منه، وزعم أنه يريد نصر الدين والسنة، ولا حاجة له بهما، بل قصدُهُ التلبيس على الجَهَلَة:

ومـن يسـب شـيخنا التجـاني   جـزاؤه المـوت علـى الكفـران
كمـا حكـى عـن أحمـدَ العـدناني   أعاذنـا الله مـن الخسـران

عقد في البيتين ما قال رضي الله عنه مخبرا عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: «من سبني ولم يتب يموت كافرا» والعياذ بالله تعالى، وشوهد ذلك في كثير من جلامدة الفقهاء، سبُّوه وماتوا على سوء الخاتمة جزاءً وفاقًا.

ثم قال رضي الله عنه:

وقـام أيضـا زاده الله علـى   مـا نـال مـن أسـوا حـال وجـلا
ينكـر مـا قـال أبـو العبـاسِ   عـن جـده خيـر بنـي إليـاسِ
إن ثـواب العـاملين يُحسَـبُ   نظيـرُه لصـحبه ويكتَـبُ

قوله: **وقام أيضا** إلخ اللهم آمين.

وخير بني إلياس النبي صلى الله عليه وسلم، وإلياس معروف في أجداده صلى الله عليه وسلم.

يعني ومما أنكر هذا الجهول اللئيم ما تفضَّل الله به على الشيخ وأصحابه من أن عملَ كلِّ عاملٍ فرضًا أو نفلًا يعطيهم الله الكريم الوهاب عنه أكثر من مائة ألف ضعف، فقال إن ذلك لا يمكن، وليس له مستند في إنكاره إلا آية **﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾** وهي لم يفهم معناها، ولا درى ما قال العلماء فيها، ولو لم يقولوا فيها لما منع صحة من ادَّعى أن ربَّه

أكرمه بشيءٍ خارق للعادة، فربنا قادر على فعل شيء تحيله العقول، بل كل وقت يبدي أشياء كانت العقول تحيلها، فقد كان بعض الأقدمين يقول: (إنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى ٱلْيَبَسِ)، وقد شوهد ذلك.

ولنصرف العنان إلى ما قال الأئمة في الآية التي استدل بها الجكني:

ففي السراج المنير عند هذه الآية: هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة، أي وإنما هي في صحف موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام بقوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء. وقال عكرمة إنّ ذلك لقوم موسى وإبراهيم، وأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم، لما يروى أن امرأة رفعت صبيًا لها فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ فقال: «**نعم، ولك الأجر**»، وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إنّ أمي انسلت نفسُها فهل لها أجر إن تصدَّقت عنها؟ قال: «**نعم**».

قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية: من اعتقد أنّ الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع، وذلك باطل من وجوه كثيرة:

أحدها: أنّ الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها وثالثها: أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثم لأهل الجنة في دخولها، ثم لأهل الكبائر في الخروج من النار، وهذا انتفاع بسعي الغير.

ثالثها: أن كل نبي وصالح له شفاعة، وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابعها: أنّ الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

خامسها: أنّ الله تعالى يُخرج من النار من لم يعمل خيرا قطّ بمحض رحمته، وهذا انتفاع بغير عملهم.

سادسها: أنّ أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بعمل الغير.

سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾، فانتفعا بصلاح أبيهما وليس هو من سعيهما.

ثامنها: أنّ الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والإجماع، وهو من عمل الغير.

تاسعها: أنّ الحج المفروض يسقط عن الميت بحجّ وليّه بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

حادي عشرها: أن المدين الذي امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة ، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبرئت ذمته بقضاء دينه، وهو من عمل الغير.

ثاني عشرها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده: **«ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه»**، فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير.

ثالث عشرها: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه، وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابع عشرها: أن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه، وهذا انتفاع بعمل الغير.

خامس عشرها: أنّ الجار الصالح ينتفع في المحيا والممات كما جاء في الأثر، وهذا انتفاع بعمل الغير.

سادس عشرها: أن جليس أهل الذكر يرحم بهم، وهو لم يكن معهم، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له، والأعمال بالنيات، فقد انتفع بعمل غيره.

سابع عشرها: الصلاة على الميت، والدعاء له في الصلاة، انتفاع للميت بصلاة الحيّ عليه، وهو عمل غيره.

ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد، وكذلك الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع البعض بالبعض.

تاسع عشرها: أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم **﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾** وقال تعالى: **﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾** وقال: **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾** فقد دفع الله العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

عشروها: أن صدقة الفطر تجب عن الصغير وغيره ممن يمؤنه الرجل، فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له.

الحادي والعشرون: أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون، ويثاب على ذلك ولا سعي له.

ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف تؤول الآية على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة. اهـ منه بلفظه.

وفي حاشية الصاوي: وأجيب بأجوبة منها: أن الآية منسوخة، ورد بأنها خبر والأخبار لا تنسخ، ومنها: أن المراد بالإنسان الكافر، ومنها: أن هذا حكاية عما في صحف موسى وإبراهيم وليس في شرعنا. اهـ.

قلتُ: وهذا أوضح الأوجه عندي، وأوقع في النفس، وأتم موافقة لظاهر الآية لأن قال: **﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾** إلخ، وأما آية **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾** قال الشيخ الصاوي: قوله **﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾** الذرية تطلق على الأصول والفروع، قال تعالى: **﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾** والمعنى أن المؤمن إذا كان عمله أكثر أُلحِقَ به مَنْ دونه في العمل إبْنًا كان أو أبًا، ويُلحق بالذريَّةِ من النسب الذرُّيَّة بالسبب، وهو المحبة، فإن حصل مع المحبة تعليم علم أو عمل كان أحق باللحوق، كالتلامذة فإنهم يلحقون بأشياخهم، وأشياخ الأشياخ يلحقون بالأشياخ إن كانوا دونهم في العمل. والأصل في ذلك عموم قوله صلى الله عليه وسلم: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويهِ وعن زوجته وولده، فيقال إنهم لم يدركوا ما أدركتَ، فيقول يا رب إنِّي عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به»** اهـ كلام الصاوي بلفظه.

وفي «ضوء البدور فيما ينفع الأحياء وأهل القبور»: ذكر الشيخ أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي اليمني في كتاب «الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وكتابه العزيز» عن الشيخ أبي زيد القرطبي المالكي أنه قال: سمعت في بعض الآثار أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار، فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد أعمالا لنفسي ادخرتها لنفسي، وعملت منها لأهلي، أي من ذكرها لأهلي، أي أنه جعل لكل واحد سبعين ألفا، وكان إذ ذاك بالبيت شاب معنا وكان يقال إنه يكاشف ويطلعه الله على الأمور المغيبات في بعض الأوقات من الجنة والنار، وكان في نفسي منه شيء، فاتفق أن استدعانا بعض الإخوان إلى منزله، فبينما نحن نتناول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة، واجتمع في نفسه وهو يقول: يا عمي هذه أمِّي في النار، وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر، فلما رأيتُ ما به قلت في نفسي اليوم أجرب صدقه، فألهمني الله السبعين ألفا ولم يطلع أحد على ذلك إلا الله تعالى، فقلت في نفسي الأثر حق والذين رووه لنا صادقون، اللهم إن هذه السبعين ألفا فداء هذه المرأة أم هذا الشاب من النار، فما استتممت الخاطر في نفسي إلى أن قال: يا عمّ ها هي أخرجت الحمد لله. فحصلت لي فائدتان:

إيماني بصدق الأثر، وسلامتي من الشاب، أي من الوقوع فيه والاعتراض عليه، وعلمي بصدقه اهـ منه بلفظه.

وإذا تقرر هذا تعلم أن الإنسان ينتفع بغير عمله حيا وميتًا، وإذا كان أعمال الأمة كلها في ميزان النبي صلى الله عليه وسلم مضاعفة بأضعاف لا يعلم قدرها إلا معطيه كرامة له، فلا مانع من أن يورث ذلك المقام أو بعضه لسبطه ووارثه خاتم الأولياء، فتكون الأعمال أيضا في ميزانه مضاعفة بأضعاف كثيرة من غير أن ينقص من أجور العاملين شيئًا، فيلحق الله أصحابَهُ بتلك الدرجة كما صرَّحت، فقد صدق رضي الله عنه في ما ذكر، ومن أنكره عوقب بحرمانه.

قلتُ: لو نور الله بصائر المنكرين لفازوا بفضائل هذه الطريقة كما فزنا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الآية، فنحن ولله الحمد صدقنا شيخنا رضي الله عنه في جميع ما أخبر به عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم على رغم من يأبى وابن مايابى والجكني قاتله الله لضيق عطته وقصور باعه في علوم الأوراق ولم يشمّ رائحة لعلوم الأذواق ينكر فضل الله، بل متحقق عنده فضل شيخنا رضي الله عنه لكنه ستر ما علم من فضله، وأبدى ما هو شين عنده، جهلا وعمى وحسدا، وأراد بذلك صرف وجوهنا عن شيخنا، ولم يعلم أنه ما كل طائرٍ يلِجُ الفَخّ لا ولا هيِّنًا صَيْدُ الظِّبَاءِ، إن كان أنفق دراهمه في طبع أكاذيبه لقصد صرفنا إلى نفسه الخبيثة فقد رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنِ.

ثم قال:

وقد أتى نظيرُ ذا في الخبر مصححا من قول خير مضر
كما أتى به صحيح مسلم بسند إلى شفيع الأمم
في خازن ومرة كذلك وليس ينقص من أجر المالك

يعني أنه ورد نص السنة في انتفاع الإنسان بعملٍ غير عمله، فمع ما تقدم ما في صحيح مسلم أن الخازن والمرة يكتب لهما مثل أجر المالك ولا ينقص من أجره شيئا، تفضلا من الله الكريم الوهاب جل وعلا.

ثم قال:

ومن يسن سنة حسناء ينال أجر من بها قد جاءَ
من غير أن ينقص أجر من عمل ففي الحديث ذا صحيحا قد نقل

ومن أدلة ذلك أن من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، وذا نصت عليه السنة.

قلتُ: والآية قال تعالى: **﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾** الآية، وفي الحديث: «**الدال على الخير كفاعله**»، وقال الجكني إن كون الشيخ رضي الله عنه سببا في وقوع العبادات من سائر الأقطار لا يمكن رجما بالغيب، قاتله الله هلا سكت، فإنه تعالى يقول في كتابه **﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**، وقال تعالى **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾**، فالجكني ليس لحمقه دواء إذ جعل الناس سواء، ولكن ثم سرا دقيقا قال:

وفي السر أسرار دقاق لطيفة تراق دمانا جهرة لو بها بحنا

ثم قال:

وغير ذا من نص مأثور جلي مصرحا بأجر من لم يعمَل
أليس في خصائص الأسماء عمل أهل الأرض والسماء

يعني أن في خزائن الأسماء أن من عمل بها فله عمل أهل الأرض والسماء.

لكنه من جهله المركب ركبَ في الإنكار صعب المركب

يعني أن هذا المنكر جاهل جهلا مركبا، راكب صعب المركب أي مخاطر بنفسه ودينه.

ثم قال:

ورب قول صادر من الولي يكون عن أفهامنا بمعزل

وربمـــا قـــاد اللعـــين للشـــقا منتقـــدا علـــيهم مـــا حَقّقـــا
مقـــالهم مـــن عـــالم محقـــق يقيـــه مـــن ســـوء الهـــلاك الموبـــق

يعني أن الأقوال الصادرة من الأولياء تدق عن أفهام ذوي الفهوم، ربما قاد الشيطان أحد للشقاء بسبب انتقادهم لها ولم يحقق معاني الأقوال من عالم محقق محق يكشف عن وجه الحقيقة فيقيه من سوء الهلاك الذي هو الإنكار، فالنجاة في التسليم أو سلوك طريقتهم، فيكشفوا عن وجوه الحقائق فتصدق لأن من لم يفهم لا يصدق، بل أعلى مراتبه التسليم، ومن لم يصدق ولم يسلم ينكر لا محالة، ويعادي ويحارب، فيحارب الله ورسوله فيهلكه الله. نسأل الله السلامة من الإنكار، وما يؤدي لمحاربة القهار الجبار بجاه سيدنا ووسيلتنا محمد المختار آمين.

تتمة:

زعم الجكني أن من قال إن المرء له ثواب عمل لم يعمله يكون في الدرك الأسفل من النار، فأردت أن أبيِّن الدركات وأهلها، فيعلم أن الدرك الأسفل للمنافقين، فأقول:

قال الصاوي عند قوله تعالى **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾** وقال الجلال: هو قعرها، أي لأنها سبع طبقات: العليا لعصاة المؤمنين وتسمى جهنم، والثانية لظى للنصارى، والثالثة الحطمة لليهود، والرابعة السعير للصابين، والخامسة سقر للمجوس، والسادسة الجحيم للمشركين، والسابعة الهاوية للمنافقين.

وبهذا تعلم أن الدرك الأسفل للمنافقين، وقد تقدم قول الإمام الشافعي أن الإنكار فرع النفاق، وقال المزني بل هو النفاق كله، فتعلم بقول هذين الإمامين أن المنكر هو المنافق، والمنكر هو ابن مايابى الجكني، فثبت نفاقه. ومن آيات المنافق أنه إذا حدث كذب، وهذا كتابه مملوء كذبا، ومن آيات المنافق تتبع الزلات، ومنها التذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وكذلك عدم الفقه، ولكن المنافقين لا يفقهون، ومن نظر كتابه تيقن أنه لا يفقه، فليستعد للدرك الأسفل من النار، فالقرآن لم يوعد بذلك الدرك إلا المنافقين، والحمد لله.

ثم قال الناظم:

وزور الغبـــــــي أن شـــــــيخنا قــد ادعــى فضــل أمــين إلاهنــا
وفضـــــــلَ أصـــحاب النبـــــي ذاك محــض الــزور لــم نعبــأ
لصـــــــــــــحبه بــــــــــــــــــه

يعني أن هذا الجكني الهالك افترى أن شيخنا التجاني ادَّعى لنفسه فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وادَّعى لصحبه فضائل أصحابه صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا، ولكن ذلك دعوى فأين البينة أن الشيخ ادعى ذلك! ولا بينة، فنحن أدرى الناس بمقولات الشيخ رضي الله عنه، ونحن الممارسون لمؤلفاته ورسائله ووصاياه وكنائشه، ولم نقف على شيء من كلامه يشير إلى هذا! فأنى لغيرنا أن يقف عليه، وهو لا ناقة له فيه ولا جمل لا بينة واللهِ!!

وَالــدَّعَاوِي مَــا لَــمْ تُقِيمُــوا عَلَيْهَــا بَيِّنَـــاتٌ أَبْنَاؤُهَـــا أَدْعِيَـــاءُ

فلذا قال الناظم:

وهــو مقـــال أبطلتـــه الحـــال مــن شــيخنا والفعــل والمقــال
لأن تعظـــيم النبــــي وصــــحبه مــن شــأن شــيخنا وشــأن حزبــه

يعني أن ما زوَّر كذَّبه لسان الحال من شيخنا ولسان المقال، فسعيه دائما في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، ومقاله في الدلالة دائما دائر في تعظيمه صلى الله عليه وسلم، حتى إن مدار التربية والتزكية في طريقه على الوقوف ببابه صلى الله عليه وسلم.

ولا بأس أن نلم بشيء من كلام الشيخ رضي الله عنه، ففي جواهر المعاني: فقد سألته رضي الله عنه عن بيان إهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم، فأجاب رضي الله عنه:

«اعلم أنه صلى الله عليه وسلم غني عن جميع الخلق جملة وتفصيلا فردا فردا، وعن صلاتهم عليه، وعن إهدائهم ثواب الأعمال له صلى الله عليه وسلم، بربه أولا وبما منحه من سبوغ فضله وكمال طوله، فهو في ذلك عند ربِّه في غاية لا يمكن وصول غيره إليها، ولا يطلب معها من غيره زيادة أو إفادة، يشهد لذلك قوله تعالى **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾**، وهذا العطاء وإن ورد من الحق بهذه الصفة سهلة المأخذ قريبة المحتد،

فإن لها غاية لا تدرك العقول أصغرها فضلا عن الغاية التي هي أكبرها، فإن الحق سبحانه وتعالى يعطيه من فضله على قدر سعة ربوبيته، ويفيض على مرتبته صلى الله عليه وسلم على قدر حظوته ومكانته عنده، وما ظنك بعطاء يَردُ من مرتبة لا غاية لها، وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة، ثم يرد على مرتبة لا غاية لها أيضا فكيف يقدر هذا العطاء، وكيف تحمل العقول سعته، ولذا قال سبحانه وتعالى ﴿**وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾، وأقل مراتبه في غناه صلى الله عليه وسلم أنه من لدن بعثته إلى قيام الساعة كل عامل يعمل لله ممن دخل في طوق رسالته صلى الله عليه وسلم يكون له مع مثل ثواب عمله بالغا ما بلغ، فليس يحتاج مع هذه المرتبة إلى زيادة لهذا الثواب لما فيها من كمال الغنى الذي لا حد له، وهذه أصغر مراتب غناه صلى الله عليه وسلم، فكيف بما وراءها من الفيض الأكبر، والفضل الأعظم الأخطر، الذي لا تطيق حمله عقول الأقطاب فضلا عمن دونهم.

وإذا عرفت هذا فاعلم أنه ليست له حاجة إلى صلاة المصلين عليه صلى الله عليه وسلم، ولا شرعت لهم ليحصل له النفع بها صلى الله عليه وسلم، وليست له حاجة إلى اهداء الثواب ممن يهدي له ثواب الأعمال، وما مثل المهدي له في هذا الباب ثواب العمل متوهمًا أنه يزيده به صلى الله عليه وسلم أو يحصّل له به نفعا إلا كمن رمى نقطة قلم في بحر طوله مسيرة عشر مائة ألف عام وعرضه كذلك وعمقه كذلك، متوهمًا أنه يمد هذا البحر بتلك النقطة ويزيده، فأي حاجة لهذا البحر بهذه النقطة، وما عسى أن تزيده فيه.

وإذا عرفت رتبة غناه صلى الله عليه وسلم وحظوته عند ربه، فاعلم أن أمر الله للعباد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ليعرّفهم علو مقداره عنده، وشفوف مرتبته لديه، وعلو اصطفائه على جميع خلقه، وليخبرهم أنه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل إلى الله به صلى الله عليه وسلم، فمن طلب القرب من الله تعالى والتوجه إليه دون التوسل به صلى الله عليه وسلم، معرضًا عن كريم جنابه، ومُدْبرًا عن تشريع خطابه، كان مستوجبا من الله غاية السَّخَطِ والغضب وغاية اللعن والطرد والبعد، وضل سعيه وخسر عمله، ولا وسيلة إلى الله إلا به صلى الله عليه وسلم، كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وامتثال شرعه. فإذاً فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيها تعريف لنا بعلو مقداره عند ربه، وفيها تعليم لنا بالتوسل به صلى الله

عليه وسلم في جميع التوجهات والمطالب لا غير هذه من توهم النفع له بها صلى الله عليه وسلم لم ذكرناه سابقا من كمال الغنى.

وأما اهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم،فتعقَّل ما ذكرناه من الغنى أولًا، ثم تعقل مثالًا آخر يضرب لإهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم، بمَلِك عظيم المملكة، ضخْم السلطنة، قد أوتي في مملكته من كل متموَّل خزائنَ لا حدَّ لعددها، كل خزانة عرضها وطولها من السماء إلى الأرض، مملوءة كل خزانة على هذا القدر ياقوتًا أو ذهبًا أو فضةً أو زروعًا أو غيرها من المتموّلات، ثم قدِّر فقيرا لا يملك مثلا غير خبزتين، فسمع بالملك واشتد حبه وتعظيمه له في قلبه، فأهدى لهذا الملك إحدى الخبزتين، معظمًا له ومحبًا، والملك متسع الكرم، فلا شك أن الخبزة لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى الذي لا حد له، فوجودها عنده وعدمها على حد سواء، ثم الملك لاتساع كرمه عَلِمَ فقرَ الفقير وغايةَ جهده، وعلم صدق حبه وتعظيمه في قلبه، وأنه ما أهدى له الخبزة إلا لأجل ذلك، ولو قدرعلى أكثر من ذلك لأهداه له، فالملك يظهر له الفرح والسرور بذلك الفقير وبهديته، لأجل تعظيمه له وصدق حبه، لا لأجل انتفاعه بالخبزة، ويثيب على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من العطاء لأجل صدق المحبة والتعظيم، لا لأجل النفع بالخبزة. وعلى هذا التقدير وضرب المثل قدر اهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم. وأما غناه عنه صلى الله عليه وسلم فقد تقدم ذكره في ضرب المثل بعظمة البحر المذكور أولا وإمداده بنقطة القلم. وأما إثابته صلى الله عليه وسلم فقد ذكر المثل له بإهداء الخبزة للملك المذكور والسلام» . اهـ من إملائه رضي الله عنه اهـ.

وبفهم كلامه يعلم الـمُنْصِفُ أن غايته في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفته به لا تدرك ولا ترام، فإن كثيرا خلطوا في هذا المجال واعتقدوا انتفاع النبي بصلاتهم وإهدائهم، وقدره أعلى من ذلك وأرفع وأعظم وأكمل صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عن سيدنا.

وأما الفعل فكان يعظم الشرفاء حتى إنه كان لا يراهم إلا وأجلسهم بقربه، وينوّه بقدرهم، وكان يزور قبر بعض الشرفاء راجلًا حافيًا وإن دنا منه يمشي على ركبتيه تعظيما له، وكان لا يتزوج الشريفة ويمنع أصحابه من ذلك ويقول: إن من أغضب شريفة يخاف عليه أن يُغضِبَ بذلك فاطمة فيغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم للحديث المتقدم، فتعظيمه لآل النبي وصحبه ولحديث النبي ولأمداحه ولمولده الشريف بهر عقول من شاهدوه، ولذا قال:

وكيــف لا وهــو مفــيض المــددِ   عليــه والهــادي لسُــبْل الرَّشَــدِ

يعني أن شيخنا التجاني رضي الله عنه وجميع أصحابه معظّمون لقدر النبي صلى الله عليه وسلم وقدر أصحابه تعظيما لا يبلغهم فيه غيرهم كائنا من كان، وكيف لا وهو صلى الله عليه وسلم شيخه ومربّيه، ومفيض الإمداد إليه، وهاديه إلى الصراط التام الأسقم. قال بعضهم ولما كان رضي الله عنه فتحه ووصوله إلى حضرة المشاهدة والعرفان على يده صلى الله عليه وسلم من غير أن يتحمل في ذلك منة لمخلوق كائنا من كان، وصرح له بذلك صلى الله عليه وسلم تصريحا لا يقبل بحال وجها من وجوه التأويل، لم يكن له رضي الله عنه في شيء مما يختص به وبأتباعه إلا الاعتماد على جاهه العظيم عند الله تعالى والتعويل عليه، فلم تبق له رضي الله عنه دلالة إلا عليه، ولا استمداد إلا منه صلى الله عليه وسلم، ولا إشارة إلا إليه، فجعل المركز الذي عليه مدار دلالته وتربيته الوقوف ببابه صلى الله عليه وسلم، والاكتفاء بالاستمداد من فيوضات حضرته، اغتناما لبركة ما تفضل عليه به صلى الله عليه وسلم في ذلك من الإذن الخاص، واقتصارا على ما يتعين الاقتصار عليه مما لا ينال إلا بمحض الاختصاص، ويرحم الله تعالى إمام دار هجرته صلى الله عليه وسلم إمامنا وإمام الأئمة الأعلام في قوله للخليفة العباسي: «وأين تصرف وجهك وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام» إلخ ما قال، انظر البغية.

ثم قال:

بــل قــال إن رتبــة الأصــحاب   مــا نالهــا أكــابر الأقطــاب
ولــم ينــالوا مطمعــا فــي مطمــع   فــي نيلهــا ولــو بــأدنى موقــع
وقــال إن ســيرنا بالنســبة   لســيرهم مثــل القطــا والنملــةِ
وذا مقــال شــائع فــي كتــب   إمامنــا والغيــر محــض الكــذبِ
فــلا تســل عــن مجــون لاه   يرمــي بقــول الــزور أهــل الله

عقد في الأبيات ما في جواهر المعاني، ونص كلام سيدي الحاج علي حرازم:

«قلت لسيدنا رضي الله عنه يفهم مما تقدم أن صاحب هذه الصلاة التي يذكرها له فضل أكثر من جميع من تقدمه من عباد الله المؤمنين إلخ سؤاله. فقال سيدنا رضي الله عنه:

«هو كما ذكرتم من تضعيف الأعمال لصاحبها، ولكن كل واحد من الصحابة الذين بلغوا الدين مكتوب في صحيفته جميع أعمال مَنْ بَعْدَهُ من وقته إلى هذه الأمة، فإذا فُهِمَ هذا ففضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم ولو كان من أهل هذا الفضل المذكور في هذا الباب لمرتبة الصحبة». ثم ضرب مثلا رضي الله عنه لعمل الصحابة مع غيرهم، قال: «عَمَلُنَا مع عَمَلِهِم كَمَشْيِ النَّمْلَةِ مع سرعة طيران القطاة». اهـ منه بلفظه. تأمَّل كلامه منصفًا، هل بلغ أحد في تعظيم الصحابة مرتبة هذا الشيخ رضي الله عنه.

قلتُ: والجكني ما حمله على هذه الفرية إلا ما بلغه من فضل صلاة الفاتح وفضل أصحابها من كثرة الأجور، فظن جهلا منه أنهم بكثرة أجورهم يلحقون بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر في فتح الباري ما نصه: روى أبو داوود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفعه: «**تأتي أيامٌ للعامل فيهنَّ أجر خمسين**»، قيل: منهم أو منا؟ قال: «**بل منكم**». وهو شاهد لحديث: «**أمتي مثل المطر**»، واحتج ابن عبد البر أيضا بحديث عمر رفعه: «**أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني**» الحديث أخرجه الطيالسي وغيره، لكن إسناده ضعيف فلا حجة فيه. وروى أحمد والدارمي والطبراني من حديث أبي جمعة قال: قال أبو عبيدة: يا رسول الله، هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك، وجاهدنا معك. قال: «**قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني**» وإسناده حسن وقد صححه الحاكم. واحتج أيضا بأن السبب في كون القرن الأول خير القرون أنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم ، قال : فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن كانوا أيضا عند ذلك غرباء، وزكت في ذلك الزمان أعمالهم كما زكت أعمال هؤلاء. ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه: «**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء**».

وقد تعقب كلام ابن عبد البر بأن مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتي بعد من يكون أفضل من الصحابة، وبذلك صرح القرطبي، لكن كلام ابن عبد البر ليس على الإطلاق في حق جميع الصحابة، فإنه صرح في كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية. نعم فالذي ذهب الجمهور إليه أن أفضلية

الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما من اتفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة والنصرة وضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم.

ومحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة كما تقدم، فمن جمع بين مختلف الأحاديث المذكورة كان مجتهدا، على أن حديث: «**للعامل منهم أجر خمسين**» لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة ، لأن مجرد زيادة الأجر لا تستلزم ثبوت الأفضلية، وأيضا فإنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل، فأما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها شيء، فبهذا الطريق يمكن تأويل الأحاديث المتقدمة. اهـ منه بلفظه. وبفهم ما تقدم يقطع المنصف على هذا المفتري أنه شهد زورا، وقصُر فهما، وساء ظنًا، وخبُث نفسًا، فأهل الإنكار قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ثم قال:

ومــــن خزعبلاتـــــه المنــــاكر وســـوء مـــا أودع فـــي الـــدفاتر
أن إمامنـــــا التجــــاني اتَّكـــلا وصـــحبه ولـــم يـــؤدوا عمـــلا

الخزعبلة الباطل أو العجب أو الأضحوكة.
والمناكر جمع منكر.
والدفاتر جمع دفتر وهو الكتاب.

يعني أن من أباطيل هذا الجكني الكذاب قوله إن الشيخ رضي الله عنه وجميع أصحابه اتكلوا على هذا الفضل ولم يؤدوا شيئا من أعمال البر، قبحه الله من أفاك. وهذا مما لا يحتاج إلى جواب لتبين كذبه، فلو خاف الفضيحة ما كتب هذا لأنه هتك أستار ما موَّه من الأكاذيب، يشهد الله أنه كاذب ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً**﴾ الآية، ويشهد لنا جميع العوالم أنه كاذب مفتر.

ثم قال:

والــــدين يشـــــهد بــــزور مــــا افتـــــــــــــــــــــــــرى	والحــال تشــهد وســائر الــورى
دعــائم الإســلام وهـــي الأربـــع	مـــا مثــل صــحبه بهـــا ممنـــع
مــاء العيــون قــال فــي شــأن الإمـــــــــــــــــــــــــــام	تيســـر الحـــج لصـــحبه الكـــرام
والصــــوم والصــــلاة والزكـــاة	هــذي لصــحب شــيخنا صــفات
خامســــها الشــــهادتان أدركـــوا	ذوقهمـــا واللفـــظ فيـــه شـــاركوا
فـــرب مســـجد لـــذاك رفعـــوا	ومجمـــع بجـــامع قـــد جمعـــوا
وعمــــروا الأقطــــار بالزوايـــا	لكـــن عـــدتك تيلـــك المزايـــا
َطْــرِقْ كَـــرا إنَّ النَّعـــامَ فــــي القُـــــــــــــــــرى	وصــــارم الحـــق يمـــزق المـــرا
بـــل شـــيخنا حـــذر أن يـــتكلا	علـــى الـــذي مـــن فضـــل ورده انجلـــــــــــــــــى
وكـــم تـــلا الآيـــة للتنفيـــر	مـــن أمـــن مكـــر الله بالتـــدبير
وقـــال إيـــاكم وأمـــن مكـــر	إلهنـــا فهـــو لأهـــل الخســـر

يعني أن الدين المستقيم الذي دان به أصحاب الشيخ وحسن حالهم ظاهرا وباطنا وجميع الأنام يشهد على كذب ابن مايابى، لأن قواعد الإسلام الخمس أقاموها أحسن إقامة.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: **«لقَدْ سأَلْتَ عَنْ عَظيمٍ وإنَّهُ لَيَسيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى، تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شيئاً، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتِي الزَّكاةَ، وتَصُومُ رَمضَانَ، وتَحُجُّ البيَتَ»**، ثم قال: **«ألاَ أَدُلُّكَ على أبْوَابِ الخيرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطيئَةَ كَما يُطفئُ الماءُ النَّارَ، وصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوفِ اللّيلِ»**، ثم تلا: **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾** حتى بلغ: **﴿يَعْمَلُونَ﴾**، ثم قال: **«ألا أُخْبِرُكَ برَأْسِ الأمْرِ وعَمودِهِ وذِرْوَةِ سنامِهِ؟»** قلت: بلى يا رسول الله، قال: **«رَأسُ الأمْرِ الإسلامُ، وعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سَنامِهِ الجِهادُ»**. ثم قال: **«ألَا أُخْبِرُكَ بمَلاكِ ذلِكَ كُلِّهِ؟»** قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: **«كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»**. قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي**

النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أو قال عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- **إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فإذا كان الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم فأصحاب الشيخ رضي الله عنه سابقون ولله الحمد، وإن كان شيئا آخر غير ما قال فنحن رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا. قال الكنسوس في «الجواب المسكت فيمن تكلم في الشيخ التجاني بلا تثبت»: أما الترقية بالهمة فقد شاهدنا أقواما من أصحابه كانوا من أغمار الناس، وجفاة العوام، إما دبّاغ أو خراز أو حائك أو فلاح، في البعد الأبعد من الخير، فما هو إلا أن وقعت عليه نظرته، ونزل عليه طابعه، بأن أتاه صادقا في طلب الله تعالى، وتلقن منه ورده، وذكر ورده المحمدي أدنى مرة، فتنقلب أحواله، وتصفوا مشاربه، وينشط لعبادة ربه، ويَعْظُم شوقُه إلى ما عند الله، وتَقِلّ رغبته في الغرض الفاني، وربما نطق بالحكمة، وتفجر بالحقائق، ويشرق ظاهره بالأنوار التي في باطنه، وهذا القدر مشاهَد في أصحابه لا ينكره أحد ممن مارسهم وخالطهم، وذلك بلا خلوة ولا رياضة. إلى أن قال: وإنهم والله من خير هذه الأمة، وهم بحمد الله المطهرون من كل مذمّة، وكيف لا وهم الصائمون القائمون، يدعون ربّهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، فمنهم من لا يعرف المنام بالليل أصلا، ومنهم من لا يعرف الطعام والشراب بالنهار إلا في الأعياد، ومنهم من لا ينقص ورده عن عشرة آلاف من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح لما أغلق بين اليوم والليلة، ولا يدعون دعوى ولا مزيّة ولا خصوصيَّة ولا تمييزًا عن الجنس، كلّ ذِي حرفة في حِرْفَتِهِ، وكل ذي شغلٍ في شغله، مع أن منهم المتصرفين في الكون بالأحوال الصادقة لا بالخواص والاستعدادات الطبيعية. فلا شك أنهم السادات الملامتية الذين رئيسهم ذو الخلال أبو بكر الصديق الأكبر رضي الله عنه. اهـ منه بلفظه.

وبما تقرر تعلم أنهم بعيدون من الأمن من مكر الله والاتكال ولكن الجاهل يظن أننا بتصديقنا خبرَ سيد الوجود نصير آمنين من مكر الله، ولو آمنا لاسترحنا من مكابدة العبادات، ولكن خائفون ولا يمنعنا الخوف من تصديق خبر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، فإنا إن خفنا حتى لم نصدق ذلك لأدَّى إلى اليأس والقنوط من رحمة الله. نعوذ بالله من الجراءة على الله، والوقوع فيما لا يعني، والانكار على أولياء الله تعالى بما لا نعلم، والنظر إلى أحد من عبيده بعين الازدراء والسخرية، والله تعالى يقول: ﴿**لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ**﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ**

عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ إلى غير ما آية من الآيات التي أدَّب الربّ بها عباده الأخيار، وهذا الجكني يدَّعي العلَم، وألقى جلباب الحياء، ولم يستح من الله ولا من رسوله، ولم يشتغل بشيء مما يعنيه، بل اشتغل بسب ولي شريفٍ عالم أرشد كثيرا من عباد الله، وملأ الدنيا من ذكر الله تعالى، ومات منذ نيّف ومائة سنة، فلا شك أن هذا هلاك مبين، اللهم عافنا من بلائه بجاه من له عندك الجاه العظيم صلى الله عليه وسلم.

ثم قال الناظم:

وأنكر المغرور رؤية النبي يقظة لشيخنا ذي الرتب
وأنه أعطاه ورده الذي تضوع الكون بعَرفه الشذي

يعني أن مما أنكر هذا المنكر رؤية النبي والأخذ عنه في حق شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به، بل أنكر وقوع الرؤية أصلا، وكذب جميع المشايخ الذين وقع لهم من غير دليل استدل به، بل كذَّب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بدليل الحديث الآتي ذكرُه في النظم،لكنه أ َوَّلَ الحديث بتأويلات فاسدة لفقها من بعض عالة العلماء الذين لا يد لهم في هذا، المحجوبين بسبعين ألف حجاب، فتحكموا على الله ونفوا قدرته جهلا منهم، ولكنهم لا بأس عليهم ما لم يقعوا في أعراض الأولياء. أما هذا فقد جاوز طوره وسب الأولياء وكذب القرآن وكذب رسول الله جراءة منه على الله تعالى، نسأل الله السلامة.

ثم شرع الناظم يجيبه، فقال:

وذاك أمرٌ صح بالإجماع عن كل الأولياء بلا نزاع
من أخذهم أورادهم عن النبي ولم يكن ينكره إلا الغبي

يعني أن رؤية النبي يقظة والأخذ عنه صح بإجماع الأولياء والصالحين الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب، فكلهم من قديم وحديث إذا كمل يدعي رؤية النبي يقظة والأخذ عنه صلى الله عليه وسلم، بل أول من

ادعى رؤية النبي يقظة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنه لما حصر قال: اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الطاقة وقال: **«أحصروك؟ إن شئت أعنت عليهم، وإن شئت أفطرت معنا»**، فقال: بل أفطر عندكم.

وقال في شرح الشمائل: وحكى عن بعض العارفين كالشاذلي وسيدي علي بن وفا أنهم رأوه يقظة، ولا مانع من ذلك، فيكشف لهم عنه صلى الله عليه وسلم في قبره، فيرونه بعين البصيرة ولا أثر للقرب ولا للبعد في ذلك، فمن كرامات الأولياء كشف الحجب لهم، فلا مانع عقلًا ولا شرعًا أن الله يكرم وليه بأن لا يجعل بينه وبين الذات الشريفة ساترًا ولا حاجبًا، وأنكر ذلك طائفة منهم القرطبي لاستلزامه خروجه من قبره الشريف ومشيه بالأسواق ومخاطبته للناس، ورُدَّ ذلك بأنه يكشف لهم عنه مع بقائه في قبره، وما قيل من أنه لو صحَّ ذلك لكان هؤلاء صحابة، رُدَّ بأن الصحبة شرطها الاجتماع في الحياة، وهذا من خوارق العادات، والخوارق لا تنقض لأجلها القواعد، ولا حجة للمانعين في أن فاطمة عليها السلام لم ينقل أنها رأته لأنه لا يلزم من عدم نقله عدم وقوعه، وقد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل اهـ منه بلفظه.

وحكى ابن أبي جمرة والبازري واليافعي وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن بعضهم أنه رآه في المنام فرأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء غيبية، فأخبرهم بها. قال ابن أبي جمرة: وهذه من كرامات الأولياء، فيلزم منكرها الوقوع في ورطة إنكار كراماتهم اهـ.

وقال الشعراني في خطبة المنن: فهو صلى الله عليه وسلم الشيخ بواسطة أشياخ الطريق أو بلا واسطة مثل من صار من الأولياء يجتمع به صلى الله عليه وسلم في اليقظة، وقد أدركنا بحمد الله جماعة من أهل هذا المقام كسيدي علي الخواص والشيخ محمد العدل وجلال الدين السيوطي وأضرابهم رضي الله عنهم أجمعين اهـ.

ثم قال:

ومن رآني فقد رآني	حديثُ أفضل الورى العدناني
إذ وصفه الشريف لا يعان	أن يتمثل به الشيطان
ومن رآه في المنام سيراه	يقظة ذاك البخاري رواه

أتى الناظم بأقوى دليل في هذا الباب من أدلة الشرع، وقال الشيخ جلال الدين السيوطي رضي الله عنه في «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك»:

قد كثر السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن طائفة من أهل العصر ممن لا قدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك وادعوا أنه مستحيل، فألفت هذه الكراسة، ونبدأ بالحديث الصحيح الوارد في ذلك أخرج البخاري ومسلم وأبو داوود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي**»؛ وأخرج الطبراني مثله من حديث مالك بن عبد الله، ومن حديث أبي بكرة؛ وأخرج الدارمي مثله من حديث أبي قتادة. قال العلماء اختلف في قوله «**فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ**»: فقيل معناه فسيراني في القيامة، وتعقب بأنه لا فائدة في التخصيص لأن كل أمته يرونه يوم القيامة من رآه منهم ومن لم يره، وقيل المراد منه من آمن به في حياته ولم يروه لكونه حينئذ غائبا فيكون مبشرا بأنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته، وقال قوم هو على ظاهره فمن رآه في النوم فلا بد أن يراه في اليقظة بعين رأسه، وقيل بعين في قلبه، حكاهما القاضي أبو بكر بن العربي إلخ كلامه في التنوير.

قلتُ: وهذا الوجه الأخير هو الحقّ الذي عليه المعول لأن الأئمة نصُّوا على أن ظواهر الشرع هي الجادة عند اختلاف العلماء واشتباك الآراء، وأيضا أيده العيان وتواتر أخبار الأولياء والصالحين من قديم الزمان إلى هلم جرا، وما كان كذلك ينتفي عنه الشك، ويكون العلم به قويا. والمنكرون أنكروا من غير دليل، بل لعدم وقوع ذلك لهم ولأشياخهم فقط.

وأما ما استشكل به بعضهم من أنه يلزم أن يكون هؤلاء أصحابه وتبقى الصحبة إلى يوم القيامة، وبأن جمعا ممن رآه في المنام لم يروه في اليقظة، والخبر الصادق لا يختلف، فقد أجاب عن هذا الإشكال العلامة العزيزي في السراج المنير فقال: الجواب عن الأول: منع الملازمة، لأن شرط الصحبه أن يراه وهو في عالم الدنيا وذلك قبل موته، وأما رؤيته بعد الموت وهو في عالم البرزخ فلا تثبت بها الصحبة؛ وعن الثاني: أن الظاهر أن من لم يبلغ درجة الكرامة ممن هو في عموم المؤمنين إنما تقع له رؤيته عند موته عند طلوع روحه أو عند الاحتضار، ويكرم الله به من شاء قبل ذلك، فلا يتخلف الحديث. وأما أصل رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة فقد نص على إمكانها ووقوعها جماعة من الأئمة اهـ كلام العزيزي بلفظه.

ثم قال:

ألـم يسـعك الصـمتُ عـن إنكـار	مـا لسـت تدريـه مـن الأسـرار
إجمـاع الأوليـا حسـبت يـا كـذوب	علـى ضـلالة وأنـك مصـيب
بـل إنهـم هـم المصـيبون ومـن	خـالفهم كـان بتخطـيء قمـن

أرشد الناظم هذا الجهول إلى سبيل السلامة، حيث قال إنه يسعه الصمت عن إنكار ما لا يعلم، فعنده من الجهل ما وسعه من الإنكار، فقد تقدمه من أجلة العلماء من لا يشق هو وجميع أشياخه غبارهم في العلم، وسلموا للأولياء ما ادعوا وصدقوا، فلم يسعه ما وسعهم.

ثم قدر الناظم تقديرا فاسدا تنبيها له على فساد زعمه، وهو هل يصح أن يجتمع جميع أولياء الله وأجلة العلماء ورواة الحديث الحفاظ على خطأ، وهذا الجكني الكذوب الذي لم يشتغل بصلاح قلبه ولا بتهذيب نفسه على صواب! بل الحق مع الجماعة، والخطأ مع الجكني الذي شاق الله ورسوله وتولى غير سبيل المؤمنين، لكن زين له سوء عمله فرآه حسنا. وأما الإجماع الذي ذكر الناظم فقد ادعى الجيلي الرؤية والجزولي والسيوطي وابن أبي جمرة والشاذلي والمرسي وأبو مدين المغربي شيخ الجماعة والشيخ عبد الرحيم القناوي والشيخ موسى الزواوي والشيخ أبو السعود ابن أبي العشائر وسيدي إبراهيم المتبولي وسيدي علي بن وفا والشمس محمد بن أبي الحمائل وسيدي علي الخواص وغير وغير إلى ما لا نهاية له كثرة رضوان الله عن الجميع آمين.

ثم قال الناظم:

أمـا تـرى سـنة خيـر مضـر	قامـت علـى يـد التجـاني الأزهـر
وانتشـرت بمغـرب ومشـرق	مـا هـي بالـدعوى ولا التمشـدق

ثم أتى الناظم بدليل أوضح من شمس النهار عند من نور الله بصيرته، وهو ما أكرم الله به شيخنا رضي الله عنه من نشر السنة وإحيائها بعد أندراسها، وما نشر في الدنيا من كثرة ذكر الله شرقا وغربا، فلا جرم أن من أكرمه الله بهذه الكرامة السنية أكرمه بملاقاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن الأمر كما قال البوصيري:

قد تُنكِرُ العينُ ضَوْءَ الشمسِ مِن رَمَدٍ وَيُنكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الماءِ مِن سَقَمِ

وقال شيخنا التجاني رضي الله عنه في هذا المقام في شرحه لهمزية الإمام البوصيري ما نصه: «ورؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة واقعة قطعا لا شك في ذلك، ثم هي نفسها مستحيلة عند أهل الظاهر لأنها عندهم من معاني الآخرة وأمور الآخرة لا مطمع لأحد في دركها إلا لأرباب النبوة عندهم، ومن ادعاها من غيرهم كذب، فهذا مذهب أهل الظاهر. قلنا: الجواب عن هذا أنها وإن كانت من عوالم الآخرة فهي واقعة لمن اختصه الله بفضله، فهي من جملة الخوارق التي تقع للأولياء، والخوارق التي تقع للأولياء هي مشهودة لا سبيل لإنكارها، فإذا صحَّ لهم خرق العوائد فهي من جملة خرق العوائد. وأما المشاهدة فتواتر الأمر بها كثيرا من وجوه لا يمكن دفعها ولا يدخل الريب فيها، ولا بد للرائي لهذا أن يقع له شبه السنة وإحساسه كامل لا نوم معه ويكلمه صلى الله عليه وسلم ويأخذ عنه الأحكام والأسرار. وقولنا الأحكام، هي الأحكام الشرعية في الوقائع المتجددة الجارية على منهجه صلى الله عليه وسلم. وأما رؤيته في النوم فإنها صحيحة، والحديث شاهد بها، قال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانُ لَا يَتَمَثَّلُ بِي**» أو كما قال صلى الله عليه وسلم» اهـ كلام شيخنا رضي الله عنه.

ا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا إِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

وبعض أهل الظاهر أثبتها وقبلها، قال خليل: أو وجب لك أنقاذ أعمى وإجابته، قال كنون على الرهوني قلت: وقول قولان إلخ، المعتمد منهما كما صرح بها بعضهم أنها تبطل سواء كان صلى الله عليه وسلم حيا أو بعد وفاته، وفي ذلك ألغز:

يا فقيها شخص تكلم عمدا في صلاة ولم يكن إصلاحا
لصلاة وبعد هذا فقلتم تلك صحت وحاز هذا نجاحا

وقوله **ما هي بالدعوى ولا التمشدق**، يعني أن إقامة سنة النبي صلى الله عليه وسلم ليست هي الدعوى ولا التمشدق كما ظن الجكني، فإنه وإن

كان يدعي إقامة السنة بسبِّه الأولياءَ الأبرارَ، ونهيه عن ذكر الله تعالى والصلاة على النبي وموالاة الأولياء، ويتمشدق بالكلام ويتنطّع، فوالله ما هكذا السنة الغراء، لكن قال الشيخ عمر: ومن قبائح الإنكار على الأولياء أن المنكرين مقتفون آثار اليهود والمشركين والمنافقين، فلا شك أن الله تعالى يعاقبهم بمثل ما عوقب به اليهود والمشركين والمنافقين لاتِّصافهم بصفات المذكورين، ومنها إيثارهم صحبة الفسقة الفجرة من العصاة والملوك والظلمة وأعوانهم هو الدين القيم والصراط المستقيم، وما عليه علماء الآخرة والكرام البررة الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه هو الطريق المعوج السقيم، ويزعمون أن ما عليه أهل العوائد الذميمة والبدع القبيحة التي توارثوها ممن كان في الضلال القديم هو الذي عليه صلى الله عليه وسلم وحزبه الصميم، ومنها الداء العضال الذي صدَّ اليهودَ عن اتباع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لخوف سقوط رِيَاسَتِهِمْ وهو الحسد، قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا، أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا، أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾** صدق الله العظيم، ولذا قال الناظم:

ما قامت السنة بالإنكار ... كلا ولا النقلة في الأقطار
ولا التواضع لكل مَلِكِ ... من مؤمن أو فاسق منهتك
شتان ما بين المطالب وما ... بين المقامات وما وما وما

يعني أن ما عليه الجكني من إنكار الحق وهو لا يعلم، والله تعالى يقول لنبيه **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾** ليست هي إقامة السنة، وكذلك تنقّله في الأقطار فإن هذا الفاسق سيء الخلق جافي القلب لا يقرّ في مكان إلا وطرد لسوء أدبه وكثرة إذايته للخلق، فقد خرج من أهله لأنه وقع منه أنه قتل أخاه عمدا ظلما وعدوانا، والله تعالى يقول في كتابه **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾**، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**لو أن أهل السماوات السبع والأرضين السبع اجتمعوا على قتل امرئ مسلم لأدخلهم النار أجمعين**»، وقال صلى الله عليه وسلم: «**من أعان على قتل امرئ مسلم بنصف كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس اليوم من رحمة**

الله»، وقال صلى الله عليه وسلم: **«كل ذنب عسى الله أن يعفوَ عنه إلا من مات كافرا أو قتل مؤمنا عمدا»**. واختلف في توبة القاتل: فقيل لا تقبل للحديث، وقيل تقبل وهو على المشيئة. ولعل الخلاف في غير من طاع بنفسه فقتل، لقوله تعالى: **﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾** والخلاف في ذلك بين الأئمة مشهور. وعيره بعض شعراء بلده بقتل أخيه فقال:

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا مَا تَحَمَّلَهُ ... مِنْ قَتْلِهِ الأَخَ ظُلْمًا فَهْيَ تَكْفِينِي

ومن دينه وديدنه التملق للملوك الظلمة الفساق، وذلك وصف لازم لأهل الإنكار كما تقدم آنفا، فلذا قال الناظم شتان ما بين المطالب وما بين المقامات وما أبعد ما بينهما وما أبعده وما أبعده.

قلتُ: وقد قال الجكني في كتابه ناقلًا كلام صاحب الاعتصام، ولم يعلم أنه حجة عليه: إن كل صاحب بدعة يدعي أنه على السنة، فانظر ما عليه الجكني من البدع الذميمة والفسق كيف يتجاسر على دعوى أنه على السنة لا سيما أنه يقيهما، لكن نقل ذلك الكلام ليتسلى به، لأن ذلك دأب المبتدعين أمثاله، بل هو لم يبتدع إنما اتخذ الدين وراءه ظِهْرِيًّا، وصار يلعب به وبأهله، ويصرف الناس عنه، لكن أسته أضيق من ذلك.

ثم قال الناظم:

هل أنت إلا كبعوض وقعا ... بقنة الشامخ هل تضعضعا
من ذلك الشامخ أو تدكدكا ... سيان قام فيه أو تحركا

ثم ضرب الناظم لهذا الذي رام الصد عن سبيل الله مثلا بأنّه كبعوض وقع على قنة شامخ، وقنته ذروته وأعلاه، والشامخ الجبل الطويل المرتفع، هل تضعضع أي تهدم من ذلك الوقوع الشامخ أو تدكدك، أي دقّ، لا والله سواء قيامه فيه وتحركه وطيرانه عنه. فهذا الجكني كذلك البعوض بوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»** وهم أهل العلم، والعلم حيث أطلق في كلام الله وكلام رسوله فالمراد العلم النافع وهو الذي تقارنه الخشية. قال ابن عطاء الله في التنوير: اعلم أن العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز أو السنة، فإنما المراد به العلم النافع وهو الذي تقارنه الخشية وتكتفه المخافة انتهى.

قال الشيخ العارف أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي رحمه الله: إذا كملت للعبد ثلاث خصال وصدق فيها تفجر العلم من قلبه وعلى لسانه، وهي الزهد والإخلاص والتقوى. قال: ولا مطمع في هذا العلم المذكور إلا بعد معالجة القلب من علله التي تشينه، كالكبر والحسد والغضب والرياء والسمعة والمحمدة والجاه والشرف وعلو المنزلة والطمع والحرص والقسوة والمداهنة والحقد والعداوة، وكل ما عددناه من العلل وما لم نعده راجع إلى أصل واحد وهو حب الدنيا، لأن حبها عنه يتفرع كل شر، وعنه يتشعب كل قبيح، فإذا زالت هذه العلل ظهر الصدق والإخلاص والتواضع والحلم والورع والقناعة والزهد والصبر والرضى والأنس والمحبة والشوق والتوكل والخشية والحزن وقصر الأمل ومزاج النية بالعمل، فينبع العلم وينتفي الجهل، ويضيء القلب بنور إلاهي، ويتلألأ الإيمان، وتوضح المعرفة، ويتسع اليقين، ويتقوى الإلهام، وتبدو الفراسات، ويصفى وتتجلى الأسرار، وتوجد الفوائد. ثم قال: وليس بين العبد والترقي من سفل إلى علو إلا حب الدنيا، الخ كلامه. فانظر الجواهر الحسان للثعالبي رضي الله عنه.

وأما مجرد الرواية فقط فليس هو العلم، قال مالك رحمه الله: ليس العلم بكثرة وإنما هو نور يضعه الله في القلب. وبذا تعلم أن ما عليه جلامدة الفقهاء ليس بعلم إنما هو فسق كا قال مالك رحمه الله أيضا.

وكان الجنيد كثيرا ما ينشد هذين البيتين:

عِلْمُ التَّصَوُّفِ عِلْمٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ ... لا أَخُو فِطْنَةٍ بِالحَقِّ مَوْصُوفُ
وَكَيْفَ يَعْرِفُ شَيْئًا لَيْسَ يَشْهَدُهُ ... وَكَيْفَ يَشْهَدُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مَكْفُوفُ

وإلى ما تقدم من أدلة إمكان رؤية النبي يقظة، أشار العارف بالله محمد فال ابن باب العلوي بقوله:

ورؤية النبي بالعيان ... أتت عن الصوفية الأعيان
كالجيلي والإمام الشاذلي ... وابن أبي جمرة ذي الفضائل
وجعلوها من كرامات الولي ... وربما أنكره المعتزلي
والأخذ عنه ذكر الغزالي ... في منقذ الناس من الضلال

ونص كلام الغزالي في المنقذ: إن أرباب القلوب في يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويستمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد.

ثم قال الناظم:

وقـــال فـــي ذاك محـــنض بابـــه	**عـــالم ذا القطـــر بـــلا غرابـــه**
ولـــم تـــزل أقطـــاب الأوليـــاء	**تأخـــذ عـــن إمـــام الأنبيـــاء**
بعـــد وفاتـــه علـــومَ الســـرّ	**كالشـــاذلي فـــي أخـــذ حـــزب البحـــر**
وصـــافح الســـيوطي عنـــد القـــاهره	**بيـــده يـــدَ النبـــي الطـــاهره**

محنض بابه الديماني هو العالم، العلامة، الفهامة، صاحب التآليف العديدة المفيدة، قال في رده على الدَّيْجَ شيخ الجكني، وإمامه الذي سبقه إلى الشقاوة بالإنكار على القطب الختم الأكبر والشيخ الأبهر، ومات في أسوأ حالة ولا أشك في أنه مات كافرا، والعياذ بالله تعالى.

ولم تزل، الأبيات.: وأما مصافحة السيوطي التي وقعت عند القاهرة فلا وجه لإنكار أهل القصور أن ذلك يستلزم خروجه من قبره، إذ صحَّ أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**سألت ربي أن لا أمكث في قبري بعد أربعين**»، وتأويل العلماء أولى منه تأويل العارفين فما راء كمن سمع .: ليس الخبر كالعيان.

وأما الاعتماد على ما سمع عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فلنا فيه أدلة:

وعن المثنى بن سعيد قال سمعته يعني مالكا يقول: ما بِتُّ لَيْلَةً إلا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن محمد بن رمح قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم، فقلت: يا رسول الله قد اختلف علينا مالك والليث، فأيهما أعلم؟ فقال: «**مالك ورث وجدي**»، قال أبو نعيم معناه ورث علمي. وقال أبو بكر بن سعدون: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن مسألة اختلف فيها مالك والليث، فقال: «**رأي مالك هو الصواب**» اهـ انظر شرح الحطاب.

قال الشعراني: رأيت ورقة بخط الشيخ جلال الدين السيوطي عند بعض أصحابه، وهو الشيخ عبد القادر الشاذلي، مراسلة لشخص سأله في شفاعة عند السلطان الفلاني رحمه الله تعالى، فاعتذر بأن قال: إنني قد اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتي هذا خمسا وسبعين مرة يقظة ومشافهة، ولولا خوفي من احتجابه صلى الله عليه وسلم بسبب دخولي على الولاة لطلعت القلعة وشفعت فيك عند السلطان، وإني رجل من خدام

حديثه صلى الله عليه وسلم وأحتاج إليه في تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون من طريقهم، ولا شك أن نفع ذلك أرجح من نفعك أنت يا أخي اهـ.

انظر قول السيوطي: (وأحتاج إليه في تصحيح الأحاديث) الخ كلامه، تعلم أنه معتبر ما أخبره به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، وهذا في الأمور التي تتعلق بالأحكام الشرعية، فكيف بالأمور الفضلية التي لا تعلق لها بالأحكام الشرعية، فهي من باب أحرى.

قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي في الفتوحات: رأيت في كشفي جميع الأنبياء والمرسلين وأممهم مشاهدة عين، من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة، أظهرهم الحق تعالى لي في صعيد واحد، وصاحبت غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم الخليل عليه السلام فقرأت عليه القرآن كله باستدعائه ذلك مني فكان يبكي في كل موضع ذكره الله تعالى فيه من القرآن، وحصل لي منه خشوع عظيم. وأما موسى عليه السلام فأعطاني علم الكشف والإفصاح عن الأمور، وعلم تقليب الليل والنهار. وأما هود عليه السلام فتبت على يده أول دخولي في طريق القوم.

إلى أن قال: ما اجتمعت بأحد من الأنبياء أكثر من عيسى عليه السلام، وكنت كلما اجتمعت به دعا لي بالثبات في الدين حيا وميتا، وكان لا يفارقني حتى يدعو لي بذلك، وكان يقول: يا حبيبي، وأمرني أول اجتماعي به بالزهد والتجريد، وكان من زهاد الرسل وأكثرهم سياحة، الخ كلامه الذي يفيد الأخذ من الأنبياء علوما وأسرارا وأعمالا، واعتمد ذلك في سيره.

وإذا تقرر أن جميع الأولياء أجمعوا على صحة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، والأخذ عنه، واعتبار ما يلقي إليه، فما موجب الإنكار على سيد الأولياء في رؤيته وأخذه عنه وردا لم يخالف شيئا من الشرع المقرر، بدليل الشهود والعيان وما تخرج على يديه من الرجال الذين بلغوا مبلغ الكمل وصاروا من أفراد الرجال، حتى إن منهم من رأوه صلى الله عليه وسلم يقظة وكالموه مشافهة، رزقنا الله ذلك بمنه وكرمه وفضله آمين.

ثم قال الناظم:

ثم افترى أيضا كذا وزوَّرا ... وأنكر الحق بما قد أنكرا
أن صلاة فاتح قد وردت ... من حضرة الغيب لمن له بدت
وأنها من عند خالق البشر ... وقال كيف الوحي بعد من غبر

يعني أن هذا المنكر افترى على الشيخ أنه ادعى الوحي للبكري بقوله: وردت من حضرة الغيب في صحيفة من نور، وأنكر ورود صلاة من حضرة الغيب وأنها من عند الله، وقال: كيف يصحّ حصول الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثكلته أمه، ما أجهله بعلوم المكاشفات، ولكن ما أنكر لم يصدر من شيخنا وإنما صدر من الإمام البكري، فلذا قال:

وكلما أنكره للبكري قبل وخص شيخنا بالنكر
فبان أن نكره نكر حسد لا ما ادعى في النكر له قصد

فبتخصيصه الشيخ رضي الله عنه بالإنكار، والحال أن القولة للقطب البكري، تبيَّن لكل ذي عقل أنه أنكر على الشيخ حسدًا، لا أنه أنكر لنصرة الشريعة، وتبيَّن لكل ذي عقل أنه أنكر على الشيخ حسدا و ظلما وعدوانا جراءة على الله تعالى.

ثم قال:

والأوليا من سلف لخلف تواطؤوا كما أتى في الصحفِ
على ادعاء رتبة الكلام من ربنا ورتبة الإمام

يعني أن الأولياء سلفًا وخلفًا مُتفقون ومتواطئون على دعوى رتبة المكالمة مع ربنا وحصول الإلهام، ولا مانع شرعًا، إذ تقدم كلام الخفاجي ومكالمته في الدنيا ممن لا تليق به تأمل.

وقال العلامة الدسوقي في حاشيته على شرح الدردير في باب الردة، عند قول خليل أو ادعى أنه يصعد إلى السماء أو يعانق الحور، وكذا إذا ادعى مجالسته المولى سبحانه وتعالى ومكالمته، فهو كافر كما في الشفا، وهذا إذا أراد بالمكالمة المعنى المتبادر منها وكذا المجالسة، لا المكالمة عند الصوفية من إلقاء النور في قلوبهم وإلهامهم سرا لا يخرج عن الشرع. فدعوى المكالمة بهذا المعنى لا يضر، ومن ثم كان الشاذلي يقول: قيل لي كذا، وحُدثت بكذا أي ألهمته. وكذا إذا أريد بالمجالسة التذلل والخضوع، وملاحظة أنه بين يدي الله فلا يضر. اهـ منه بلفظه.

وقال المواق:لكن هذا كله ضعيف لا سيما في حقّ مدعي الولاية، وقد جاء في أحاديث كرامات الأولياء أنهم أكلوا من طعام الجنة اهـ منه بلفظه.

وفي المستصفى: اعلم أن الكلام إما أن يسمعه نبي أو ملك من الله تعالى، أو يسمعه نبي أو ولي من ملك، وعن الشيخ أي منصور مثله اهـ.

وفي جواهر المعاني: وسألته رضي الله عنه عن المكالمة التي يدعيها الصوفية ومحادثتهم، وما معنى المكالمة، والفرق بين سماع الأنبياء لكلام الله تعالى وغيرهم. فأجاب رضي الله عنه بقوله: «اعلم أن معنى مكالمة الصوفية أن الله تبارك وتعالى إذا رحم عبدا من عباده بسماع كلامه فإنه يزيل عنه الحجاب ويخطفه عن حسه حتى يغيب عن كل شيء، وتغيب عنه حتى ذاته، ولا يدري أين هو في ذلك الحال، ثم يُسمعه الله من كلامه ما قسم له من غير حرف ولا صوت، ثم يرده للحجاب فيرجع إلى حسه وحاله الأول، ثم يسمع أيضا كلاما في عوالمه اللطيفة التي هي مراتب الروح من السر والخفاء والإخفاء وسر السر، فيغيب أيضا غيبة مثل الأولى حتى لا يشعر بشيء من الكون حتى ذاته، ثم يرد إلى حسه الأول ويصحى عن غيبته فيجد عنده كلاما في سره ويعلم جميع ما شاهده في الحالتين، فعند ذلك يعبر عنه بما أراد، فهذه هي مكالمة الأولياء. وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم لكمالهم في غاية الصحو والعقل والثبات، وفي معنى هذا يقول العارف بالله سيدي أبو العباس بن العريف رضي الله عنه:

بـدا لـك سـر طـال عنـك اكتتامـه ... ولاح صـباح كنـت أنـت ظلامـه
فأنـت حجاب القلـب عن سر غيبـه ... ولـولاك لـم يطبـع عليـه ختامـه
إذا غبـت عنـه حـل فيـه وطنبـت ... علـى موكـب الكشـف المصـون خيامـه
وجـاء حـديث لا يمـل سـماعه ... شـهي إلينـا نثـره ونظامـه
إذا ألفتـه الـنفس طـاب نعيمهـا ... وزال عـن القلـب المعنـى غرامـه

ثم قال سيدنا رضي الله عنه: من فتح عليه في هذا الأمر العظيم والنعيم الجسيم لا يقدر أن يسمع كلام الخلق إلا إذا اعتزل ثلاثة أيام يذكر الله، فحينئذ يقدر على سماع كلامهم، وإن لم يفعل ما ذكر فإنه مهما سمع كلامهم يتقيأ لقبحه بالنسبة للذة ما سمع من كلام الحق، وسماع كلام الحق لمن سمعه لا بالأذن فقط بل بجميع أجزاء ذاته كلها، حتى تصير كل ذرة من ذاته تلتذ مثل جميع ذاته بكمالها، رزقنا الله ما رزق أحباءه وأصفياءه

وخاصته العليا من خلقه، إنه ولي ذلك والقادر عليه» اهـ ما أملاه علينا رضي الله عنه.

وبفهم كلام قطب الأولياء تقف على جلية الحكم في ذلك تأمله راشدا.

وقال الأبي في إكمال الإكمال عن القرافي: وإذا قبل خبر الولي في الكرامة الخارقة للعادة المخصصة للعموم القطعية، فكيف بتخصيص العموم الذي لا يفيد إلا الظنَّ. قال: وأما من ادعاه ممن ليس من أهله كالعاصي والمقصر، فإنا نكذبه. قال في البروق: ورؤية الله تعالى على ما يليق به في النوم يُجَوِّزُونَهَا في الدنيا كما يجوزونها في الآخرة، ولكن من ادعى هذه الحالة وهو من غير أهلها من العصاة والمقصرين كذبناه، ومن ادعاه من الأولياء من المعين لا نكذبه ونسلم له حاله. وقوله تعالى **﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾** فيه تأويلات، وهو عموم يقبل التخصيص، وإخبار الولي الموثوق بدينه المبرز في عدالته يصلح لتقوية بعض التأويلات، ولتخصيص هذا العام، وخبر العدل مقبول في تخصيص العموم، ونحن نقبل خبر الأولياء في وقوع الكرامات التي هي خوارق العادات المخصصة لعموم القطعيات، فكيف بتخصيص العمومات التي لا تفيد إلا الظن اهـ منه بلفظه.

ثم قال الناظم:

وقـــد تبـــاين مقـــام النســـبتَيْنْ عنـــدهم وصـــحتا علـــى يقـــينْ

يعني أن مكالمة الأنبياء ومكالمة الأولياء بينهما نسبة التباين، وكلتاهما صحيحتان، والتباين الذي ذكر الناظم هو ما تقدم من كلام شيخنا رضي الله عنه. وأما تلقي الوحي من الملك، فالفرق أن الولي لا يرى الملك والإلقاء معا، بل يرى الإلقاء أو الملك. قال الشعراني في المنن بعد كلام في الإلهام: وذلك على أقسام: فمنها ما يكون متلقى بالخيال، وهو الوحي في النوم فالمتلقى خيال، والنازل كذلك، والوحي كذلك؛ ومنها ما يكون خيالا في حس على ذي حس، ويقع كثيرا لبعض العارفين؛ ومنها ما يكون كتابة، ويقع ذلك كثيرا للأولياء كقضيب البان وأضرابه، وصورتُه أن يجدَ بعد القيام من النوم ورقة مكتوبة فيها ما ألقى به. واعلم يا أخي أن علوم الغيب التي يمكن إدراكها تنزل بها الأرواح على قلوب المؤمنين، فمن عرفهم تلقاهم بالأدب، ومن لم يعرفهم أخذ علم الغيب ولا يدري عمن كان كالكهنة

وأهل الزجر. وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول: أهل الله تعالى يرون تنزل الأرواح على قلوبهم ولا يرون الملك النازل، فيشهدون الملائكة ولكن لا يشهدونها ملقية إليهم، أو يشهدون الإلقاء ويعلمون أنه من الملك من غير شهود للملك، فلا يجمع بين رؤية الملك والإلقاء منه إلا نبي أو رسول. فهذا هو الفرق بين تنزل الوحي على النبي صاحب الشرع وبين تنزل الوحي على الولي التابع اهـ من المنن.

ثم قال:

وأين ما خاطب ربنا العلي ... به الإمام أحمد بن حنبل
إذ صح أن أحمدا سأله ... عن خير ما به التوسل له
وثبت الجواب بالكلام ... وهو كلام ربنا العلام
هل جاء أن أحمد قد ادَّعى ... وحْيا بدا أو كان منه ابتدعا

ومن أدلة وقوع المكالمة لغير الأنبياء ما وقع للإمام أحمد بن حنبل ناصر السنة والصابر على المحنة، قال رضي الله عنه: رأيت رب العزة في المنام فقلت: يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ فقال: بكلامي يا أحمد، فقلت: بفهم أو بغير فهم؟ فقال: بفهم وبغير فهم اهـ.

وهل أحمد رماه أحد بأنه ادعى وحيا بهذا؟ لا والله، أو نسب إلى البدعة؟ لا وكلا، فقد أطبق السلف على مدح ظاهره وباطنه، ومدح جميع ما صدر منه قولا وفعلا، وناهيك بالإمام الشافعي شيخه القائل فيه: خرجت من بغداد وما خلفت فيها أورع ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد. ومن ادعى أن المكالمة التي بيَّنَّا وحي فقد جهل الوحي الذي في حق الأنبياء، فعليه بمطالعة الروض الأنف للسهيلي فقد جمع أقسامه السبعة، ومرآة الصفا للناظم.

ثم قال الناظم:

لكن جهلت من كلام العلما ... ما يهتدي به وآثرت العمى
أعاذنا الله من الحرمان ... من هديه وموجب الخسران

يعني أن المنكر حمله على الإنكار جهله بكلام العلماء وبمصطلح القوم، وعدم ذوقه لمقاماتهم، ولو كان عاقلا لترك ما لم يفهم من جملة مجهولاته التي لا نهاية لها، لكنه أعمى الله قلبه فآثر العمى.

وفي المنن أيضا قال الشعراني رضي الله عنه: وقد يكون سبب الإنكار جهل المنكر بمصطلح القوم رضي الله عنهم، وعدم ذوقه لمقاماتهم، كما في كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه في التائية وغيرها، فالعاقل من ترك الإنكار وجعل ما لم يفهمه من جملة مجهولاته، ولا سيما ولم يبلغنا عن أحد من الأولياء رضي الله تعالى عنهم أنه أمر الناس بترك وضوء أو صلاة أو صوم أو غيرها مما يخالف الشريعة أبدا، بل رسائلهم كلهم طافحة بالأمر بالتقيد بالكتاب والسنة، وعلاج أخلاقهم وأعمالهم وتنقيتها من الدسائس والعلل القادحة في الإخلاص، وتحمل الأذى وترك الأذى والزهد والورع والخوف والخشية، وربما كان المنكر عليهم بالضد من هذه الصفات كلها، إلخ كلامه انظر المنن.

ثم قال:

وأنكر الغبي ما قد أخبرا إمامنا عن جده خير الورى
من أنه طائفة من صحبه تفوق الأقطاب بفضل ربه

يعني إن مما أنكر هذا المنكر ما قال شيخنا رضي الله عنه من أن طائفة من صحبه تفوق الأقطاب، وهو أخبره بذلك سيد الوجود صلى الله عليه وسلم.

ثم قال:

وذاك أمر ما نفاه مانع وفضل ربنا الكريم واسع
وقد عزاه للنبي مصرحا من كشفه أوضح من شمس الضحى
وربما قالت أكابر الرجال في صحبه مصدقا لذا المقال

ثم أثبت له الناظم أجوبة أربعة كلها مقنع عند من نور الله بصيرته، ولم يقدّر في الأزل شقاوته: الأول أنه أمر ما نفاه مانع في الشرع؛ الثاني أنه

إخبار بفضل الله، وفضل الله واسع؛ الثالث: أنه كشفٌ صحيح أخبر به عارف مكاشف عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ الرابع: أنه مصدّق له ما قبله من إخبار أمثاله بمثل ما أخبر به هو رضي الله عنه.

ثم قال الناظم: وهاك في الصحيفة التالية

كما حكى الجيلي عن أتباعه بيضتها بالألف لاتساعه
وقال ليس فرخنا يقوّم ولم يكن في قوله ما ينقم

ثم أتى الناظم بقولة القطب الكامل مولانا عبد القادر الجيلاني «البيضة منا بألف، والفرخ لا يقوم» ويعني بالبيضة المحجوب من أصحابه، والفرخ من فُتح عليه، يعني أن المحجوب ممن صحبه بألف من الأقطاب، والفرخ غير مقوم. وإذا كان كذلك فشيخنا لم يقل إلا ما كان الأولياء يقولون، وهو سيد الأولياء فلا ينال ولي شيئا من الكرامة إلا ونالها بعينها وزيادة، وراثة محمدية على رغم أنف العدو المكابر والحسود المعاند.

ثم قال:

كذاك قوله بأن قدميه فوق رقاب الأوليا سبق فيه
من قبله الجيلي لكن أفردا قدمَه وذاك عنه وردا
فليت شعري هل لجهل ذمّمَا بالنكر شيخنا وما
أم حسد وكل ذين موجبُ يقوده إلى الردى وسببُ

يعني أن مما أنكر الجكني قول شيخنا رضي الله عنه: «قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور»، وقد سبق إلى ذلك الجيلي قال: قدمي على رقبة كل ولي لله تعالى، ولم ينكر قولة الجيلي بل خصَّ شيخنا بالإنكار كعادته، فإنهم لو اتفقوا جميعا على قولة لسلمها لهم وأنكر على شيخنا، ولذا قال: يا ليت شعري ما وجه التخصيص لشيخنا بالإنكار؟ هل جهل منه أن ما صدر منه صدر من أمثاله قبله، أم حسد؟ وعلى كلا التقديرين فلا نجاة له، لأنه إن أنكر وهو جاهل فخطره

عظيم ومرتعه وخيم، وإن حسد الأولياء وعاداتهم حسدا فالأمر أشد لا سيما وقد جمعها وزاد عليها زيادات عديدة.

نكتة: سمعت شيخي، وسيدي، وأستاذي، العارف بالله، مولاي عبد الله بن الحاج العلوي نفعني الله به آمين، يقول: إن مراد شيخنا بالقدمين قدم الشريعة وقدم الحقيقة. فلم يبق إشكال على أن هاتين القدمين لشيخنا فوق رقبة كل ولي لله تعالى.

ثم قال الناظم رضي الله عنه:

كما ادعى من جهله المركب   أن العموم شامل كل نبي
إذ قد تعم لفظة الولايهْ   جميعهم وأخطأ الهدايهْ

يعني أن هذا المنكر ادعى أن لفظة الولي في كلام شيخنا رضي الله عنه شاملة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن كل نبي ولي، وهذه الدعوى إن كانت حقا عنده فقد استرحنا منه، لأنه جلب في كتابه الخلف في التفضيل بين الولي والعالم، فإن كان الولي في كلامه شاملا للأنبياء فهو اعتقاده أنه أفضل من الأنبياء، لأنه يزعم أنه عالم الدنيا اليوم. وقال في كتابه بعد ما حكى قولة الجنيد حين سئل أيزني العارف فأطرق مليا فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا، قال الجكني: إن الجنيد قد أنصف في كلامه وقال: قد عُلم من ذلك أن جميع المعاصي تصدر من الأولياء حتى الابتداع، فإن كان لفظة الولي في كلامه تشمل الأنبياء، فهو لم يعتقد عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ قال إن جميع المعاصي تصدر منهم، فإذا استرحنا منه لأنه سقط البحث معه لكفره، فبهذا تعلم أن هذا الزعم فاسد لم يحمله عليه إلا العناد، لكنه وقع في البير التي حفر.

ثم قال الناظم:

لأنما عرف اللسان العربي   يخصص العموم طُرًّا يا غبي

يعني أن العموم يخصصه العرف اللساني.

قلتُ: قد تقرر في كتب الفقهاء خمسة أمور كلها تخصص العموم. منها النية .·.خليل.·. وخصصت نية الحالف إلخ، قال الحطاب: يعني أن النية تخصص العام وتقيد المطلق إذا صلح اللفظ لها، نقله في الذخيرة. ومعنى كون اللفظ صالحا لها كما قال ابن عبد السلام: أن لا يكون اللفظ صريحا فيما نواه الحالف، ولو كان كذلك لما افترق الحكم فيه، بين ما يكون الحالف فيه على نية وبين لا يكون كذلك، بل لا بد أن يكون اللفظ محتملا لما نواه ولغيره اهـ. والثاني من المخصصات البساط، الثالث العرف القولي، الرابع المقصد اللغوي، الخامس المقصد الشرعي.

ثم قال الناظم:

ألــيس قــد شــاع بكتــب العلمــا كالأنبيــا والأوليــا يــا ذا العمــى

يعني ألم يكن شائعًا ذائعًا في الكتب عطف لفظة الأولياء على الأنبياء، بلى، فلعل هذا المنكر لم يعلم الفرق بين الجنس والنوع. فالولي جنس يشمل النبي، والولي الشرعي، والصحابي، والولي العارف، ولكن جرى العرف القولي بتخصيص الولي العارف بالله الذي ليس بنبي ولا صحابي، حتى صار من الأمر الضروري، فمن قال: وقفت على كلام لبعض الأولياء، تعلم بديهة أنه غير الأنبياء وغير الصحابة.

ثم قال:

ألــم تَجــدْهُمْ عطفــوا الجــنس جــنس يغــاير الــذي لــه تــلا علــــــــــــــــــــــــــى

يعني ألم تجد في كلام العلماء عطف الجنس على جنس يغايره، أي تجد ذلك كثيرا، ولولا ذلك لما صح العطف، إذ عطف شيء على متحدٍ معه قليل جدا وهو عطف التفسير.

ثم قال:

وتشــمل الولايــة الصــحابةْ والعــرف خصــهم ولا غرابــةْ

يعني أن لفظة الولي تتناول الصحابة، ولكن العرف القولي يخصصه لغيرهم.

وقوله: **والعرف خصهم**، أي بعدم الدخول في قول من قال: الأولياءكذا، ولا غرابة في ذلك، إذ العام المخصص كثير في الكلام جدا لغة وشرعا وعرفا.

ثم قال:

ونـص شـيخنا علـى تخصـيص جمـيعهم بلفظـه المنصـوص

يعني ومع ما تقدم من تضافر النصوص في تخصيص العموم بمجرد النية أو العرف، فقد نص شيخنا رضي الله عنه وأرضاه بتخصيص الصحابة بعدم الدخول في عموم الأولياء، ونص كلام الشيخ زيادة على ما تقدم، وقال سيدي علي حرازم: وسألته رضي الله عنه عن تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه وعن القطب من غير الصحابة. فأجاب رضي الله عنه: «اختلف الناس في تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه على القطب من غير الصحابة، فذهبت طائفة إلى تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه على القطب من غير الصحابي، وذهبت طائفة إلى تفضيل القطب، والراجح تفضيل الصحابي على القطب بشاهد قوله صلى الله عليه وسلم «**إن الله اصطفى أصحابي على سائر العالمين سوى النبيين والمرسلين**»، وقوله صلى الله عليه وسلم «**لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» الحديث، وقوله تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾** الآية، وهذا من شدة اعتناء الله بنبيه صلى الله عليه وسلم خصوصية له، والله تعالى ولي التوفيق» اهـ من جواهر المعاني بلفظه.

ثم قال:

وكـم عمـوم وبـه الخصـوصُ أريـد قـد جـاءت بـه النصـوصُ

يعني قد جاءت نصوص العلماء بأنه كم عموم أريد به الخصوص.

قلتُ: قد ذكر جلال الدين السيوطي رضي الله عنه في كتابه «الصواعق على النواعق» أن العلماء قد افترقوا في مثل هذا فرقتين: فمنهم من جعل ذلك اصطلاحا عرفيا، ومنهم من قال هو موكول إلى تخصيص العقل. وحاصله أنه من العام الذي أريد به الخصوص الذي تعذر بيانه في علم أصول الفقه. وذكر لذلك أمثلة وشواهد.

إلى أن قال: ومنها: قوله تعالى **﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾** أطبق العلماء على أن هذا من العام المراد به الخصوص، لأنها لم تدمر الملائكة ولا العرش ولا الكرسي ولا السماوات والأرض والجبال ولا بقية من كان من البشر سوى عاد.

ومنها: قوله تعالى **﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾** أطبقوا على أنه من ذلك وأن المراد من كل شيء يؤتاه جنسها من الملوك، لا من كل شيء على الإطلاق، فهي لم تؤت ما أوتيه سليمان.

ومنها: قوله تعالى **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾**، وقوله تعالى **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾**، وقوله **﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾** كلها من العام المراد به الخصوص.

ومنها: **﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾** أجمعوا على أنها مخصصة بالعقل، فإن الذات المقدسة والصفات الشريفة لمولانا جل وعلا غير داخلة في هذه.

ومنها: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** أجمعوا على أنها خصص منها العرش والكرسي والجنة والنار وما فيهما والأرواح، أو مؤولة.

ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِهَا أَحَدٌ**» أخرجه البخاري، وأطبقوا على أن هذا الكلام خاص بمن هو في عالم الشهادة الذين هم أظهر الناس، دون من في عالم الغيب كالخضر وإلياس إن ثبت وجودهما، وإبليس ومن عمر من الجان. قال ابن الصلاح في فتاويه: الحديث فيمن يشهده الناس ويخالطونه، لا فيمن ليس كذلك كالخضر، قاله النووي. وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: الحديث مخصوص بغير الخضر كما خص منه إبليس بالاتفاق.

ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم: «**ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر**» أخرجه ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة وأبي الدرداء، فهذا من العام المراد به الخصوص قطعا، لأنه لا سبيل إلى دخوله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء في هذا العموم، ولا الخضر إن سلم وجوده.

ومنها: ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف قال: حدثنا شريك عن إسحاق عن عاصم بن ضمرة قال: خطب الحسن بن علي رضي الله عنهما حين قتل علي فقال: يا أهل الكوفة لقد كان بين أظهركم رجل قتل الليلة لم يسبقه الأولون بعلم ولا تدركه الآخرون، وكان النبي إذا بعثه في سرية كان جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه. وقال حدثنا عبد الله بن نمير عن إسماعيل بن أبي خالد عن هبيرة بن مريم قال سمعت الحسن بن علي رضي الله عنه بعد وفاة علي فقال: فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون. وهذا الكلام من الحسن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المراد به الخصوص قطعا، فإن العقل يخص من لفظ الأولين سيد المرسلين وسائر الأنبياء وجبريل الجائي بالوحي وسائر الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلم يقصد الحسن تفضيل أبيه على أحد من هؤلاء ولا مساواته معاذ الله، بل ولا قصد تفضيله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وإنما أراد من سوى هؤلاء لا يمتري في ذلك عاقل، وكذلك يخص ولا يدركه الآخرون عيسى ابن مريم عليه السلام، وكل هذا موكل إلى تخصيص العقل لا يحتاج إلى التصريح، إذ لا يمتري فيه عاقل، وإنما يتوهم دخول مثل ذلك في اللفظ من اشتدت عدانيته في الجهل ولم تكن له خبرة بأساليب الكلام، ولا له اطلاع على عبارات العلماء وتحقيقاتهم، ولا علم قواعد أصول الفقه وعلوم البلاغة، ومن هو بمثابة بهذه المثابة لا يُلتفت إلى توهماته الفاسدة، بل يترك وهذيانه ينعق مع الناعقين بل ينهق مع الناهقين، ومن ذلك قول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد
ولولا خشية الرحمن ربِّي سبت الناس كلَّ هم عبيدِي

فهل يتوهم عاقل قط أن عبارة الشافعي هذه يدخل فيها أحد مشايخه كمالك وسفيان ومسلم بن خالد الزنجي، أو من قبلهم كالأوزاعي وأبي حنيفة، فضلا عن التابعين، فضلا عن الصحابة، فضلا عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، معاذ الله، لا يتوهم هذا إلا جاهل كامل الجهل، مختل العقل، لم يعلم بشيء من العلم، ولا نوَّر الله تعالى قلبه بشيء من نور الحكمة انتهى كلام السيوطي رحمه الله تعالى بنقل صاحب الرماح شيخنا عمر رضي الله عنه.

ثم قال شيخنا عمر: وإذا فهمت ما تقدم علمت أن كلام الشيخ رضي الله عنه لا يتوجه إلى الصحابة أصلا اهـ.

ثم أشار الناظم إلى بعض ما تقدم من كلام «صاحب الصواعق على النواعق» بقوله:

من ذلك التدمير في قصة عاد	كلية عاد بها هم المراد
وأوتيت من كل شيء وهي لم	تؤت الذي له سليمان العلم
وغير ذا مما أتت به العلوم	من كل مخصوص أريد بالعموم
فلا نطيل بالنصوص الوارده	في ذاك إذ ليس بذاك فائده

يعني أن من ذلك، أي العام المراد به الخصوص، التدمير في قصة عاد، وهو قوله ﴿تُدَمِّرُ﴾ أي تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾، وقد تقدم كلام السيوطي في هذه الآية. ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني بلقيس، وقد تقدم الكلام فيها أيضا، وغير ذلك مما لو تتبعناه لاحتاج إلى إفراد مجلد، كقوله عليه الصلاة والسلام: «**كل بني آدم حسود ولا يضر حاسدا حسده ما لم يتكلم باللسان أو يعمل باليد، كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب**» هذا كله عام خص الأنبياء ونحوهم، كما في السراج المنير للعزيزي فراجعه، وراجع كتاب المزهر للسيوطي، فتعرف العام الباقي على عمومه، والعام المخصص، والخاص المراد به العام. فتنبه لأساليب كلام العرب تخرج من عامة الناعقين الناهقين، والمنكر ما دام مُغَطَّى البصيرة، دنس السريرة، لا فائدة له في جلب النصوص المتضافرة والأدلة المتكاثرة، فلذا قال رضي الله عنه:

لأن من أنكر للجحود	لا يهتدي بسورة العقود
كلا ولا بمحكمات السُّوَر	بميعها لِأَنَفَةِ التكبُّر

يعني أن المنكر للجحود والعناد لا يهتدي أبدا، ولو تلوت عليه الكتب السماوية لا ينزجر. ولنورد هنا كلام زروق قال في القواعد: دواعي الإنكار على القوم خمسة:

أولها النظر لكمال طريقتهم، فإذا تعلقوا برخصة أو برز منهم نقص ما، أسرع الإنكار إليهم، لأن النظيف يظهر فيه أقل عيب، ولا يخلو الإنسان من نَقْصٍ إلا بعصمة من الله أو حفظٍ.

الثاني رقة المدرك، ومنه وقع الطعن على علومهم في أحوالهم، إذ النفس مسرعة لإنكار ما لم يتقدم لها علمه.

الثالث كثرة المبطلين في الدعاوى الطالبين للأغراض بالديانة، وذلك سبب إنكار حال من ظهر منهم بدعوى، وإن قام عليها الدليل لاشتباهه.

الرابع خوف الضلال على العامة باتباع الباطن دون اعتناء بظاهر الشريعة، كما اتفق لكثير من الجاهلين.

الخامس شحة النفوس بمراتبها، إذ ظهور الحقيقة مبطل لكل حقيقة، ومن ثَمَّ أولع الناس بالصوفية أكثر من غيرهم، وتسلط عليهم أصحاب المراتب أكثر من سواهم.

وكل الوجوه المذكورة صاحبها مأجور معذور إلا الأخير، والله أعلم.

وقال أيضا: إنكار المنكر إما أن يستند لاجتهاد، أو لحسم ذريعة، أو لعدم التحقيق، أو لضعف الفهم، أو لقصور العلم، أو لجهل المناط، أو لانبهام البساط، أو لوجود العناد. فعلامة الكلّ الرجوع إلى الحق عند تعينه إلا الأخير، فإنه لا يقبل ما ظهر، ولا ينضبط دعواه، ولا يصحبه اعتدال في أمره.

وقال أيضا: وعلامة المنكر عنادًا التشنيع، واتساع الدعوى، وعدم انضباط الحجة، والهروب من مواطن التحقيق المؤدي لإبطال دعواه، ومآله إلى الهلاك، إلخ كلامه الهاتك ستر الجكني، انظر تعلم أنه الأخير من كل هذه الوجوه، وذلك كنار على علم، ولذا قال: لأن من أنكر للجحود، البيت. ولكن حسبه الهلاك المبين.

ثم علل الناظم عدم رجوع المعاند إلى الحق بأن موجبه الأنفة والتكبر، والأنفة الاستنكاف، وقد صدق رضي الله عنه قال تعالى **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾** وأكبر آيات الله الأنبياء والأولياء، فلا تجد متكبرا يهتدي بنبي أو ولي. قال في العرائس عند قوله تعالى **﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾** آياته أنبياؤه وأولياؤه فهم أعظم الآيات، إذ تجلى الحق من وجوههم بنعت العزة والكبرياء للعالمين. ثم قال: وأي منكر أعظم ممن ينكر على هذه الآيات الساطعة والبراهين الواضحة. قال سهل: أظهر آياته فى أوليائه، وجعل السعيد من صدقهم فى كراماتهم،

وأعمى أعين الأشقياء عن ذلك وصرف قلوبهم عنهم اهـ بنقل صاحب الرماح رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين.

ثم قال رضي الله عنه:

وذاك في المخصوص مما أجريا	**فلم تكن تدخل فيه الأنبيا**
ولا الصحابة الكرام النجبا	**فالعرف عن إدخال ذين قد أبى**

اسم الإشارة راجع إلى العموم المتقدم في كلام شيخنا رضي الله عنه، أن العموم من قوله كل ولي لله مراد به الخصوص، فلا يتناول الصحابة فضلا عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالعرف لا يقبل دخولهم الولي كما تقرر آنفا، ويؤيده ما تقدم من تصريح الشيخ بأفضليتهم. وقول الشيخ في بعض رسائله كما في جواهر المعاني: «من عصر الصحابة»، فهذا نص منه رضي الله عنه أن فضله على الأولياء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

ثم قال رضي الله عنه:

..... جهلت أن الله يعطي	**من شاء ما شاء بغير شرط**
..... بادرت إلى الإنكار	**على إمام الأوليا الأبرار**

يعني أنه جهل الدائرة الفضلية، والمشيئة الإلهية، التي تعطي كيف شاءت وأنى شاءت ومتى شاءت وإلى من شاءت، من غير شرط ولا ضبط ولا عرف. والدائرة الفضلية لا نهاية لها، والمشيئة لا غاية لها، فأنى تعرف وتجد عطية تبرز من مرتبة لا نهاية لها بمعيار لا نهاية له وهي المشيئة، فلا جرم أن من حدها فقد ارتكب بابا عظيما من سوء الأدب، ومحدِّدُها منكرٌ وجودَ فضلِه من غير دليل استدل به إلا كونه فوق طور عقله ووراء دائرة علمه، قد علم شيئا وغابت عنه أشياء، بل لن يفلح شيئا أصلًا، إنما هو **﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾** الآية.

ثم قال رضي الله عنه:

هـــلا اشـــتغلت بعيـــوب نفســـكا عــن ســـب شـــيخنا فبـــؤ بنحســـكا

أرشد الناظم هذا الجهول إلى الصراط المستقيم، الذي لو سلكه لم يقع في هذا الهلاك الذي وقع فيه، لكنه سبق السيف العذل، وقصده اللوم لأن هلَّا إن استعملت في الماضي أفادت ملامًا، ولو اشتغل بعيوب نفسه لكان أولى له، لأنه إن قصد نفع الغير فحق نفسه آكد عليه، وإن لم يقصد إلا الدنيا والرياسة فالخطب أجل والأمر أشد، وقد اتسع الخرق على الراقع، والجكني حر بأن ينشد قول القائل:

يـــــا أيهـــــا الرجـــــــل المعلـــــــم غيـــــره
هـــــــلا لنفســـــــك كــــــان ذا التعلـــــــــيم

تصـــــف الـــــدواء لـــــذي الســـــقام وذي الضـــــنى
كيمـــــا يصـــــح بـــــه وأنـــــت ســــــقيم

فابـــــدأ بنفســـــك وانههـــــا عـــــن غيِّهـــــا
فـــــإذا انتهـــــت عنـــــه فأنـــــت حكـــــيم

فهنـــــاك يســـــمع مـــــا تقـــــول ويشـــــتفي
بـــــالقول منـــــك وينفـــــع التعلـــــــيم

لا تنـــــه عـــــن خلـــــق وتـــــأتي مثلـــــه
عـــــار عليـــــك إذا فعلـــــت عظـــــيم

ولو اشتغل بعيوب نفسه لكان أنفع له من سب شيخنا رضي الله عنه لأنه السم الوحي، فلذا عقب لومه بقوله: فبؤ بنحسكا.

ثم قال:

نعـــم بـــرغم أنفـــك المرغـــوم فالشـــيخ قـــد فـــاق جميـــع القـــوم
مـــن جملـــة الأقطـــاب والأبـــدال تفضـــلا مـــن الكـــريم العـــالي

يعني أن شيخنا رضي الله عنه فوق الأقطاب والأبدال، على رغم أنف الجكني الطريد اللعين.

قلتُ: ولو كنت أكلم رجلا لذكرت له ما ورد عليَّ في الحال في فضل الشيخ رضي الله عنه. ولا بأس بذكر البعض إرغاما له وهو ولم لا وهو رضي الله عنه بطون البطون، وغيب الغيب، وسر السر، الذي تجلى فيه أول بارز التجليات، ومجمع الشؤون والإضافات والنسب والأحوال والمقامات، وإحاطة الأكوان، ومركز الفهوم الذي تجلى فيه الحق بعد التجليين الذين لم يبرزا، فتعرَّف فيه بعد ما كان كنزا لم يعرف، وكان على ما هو عليه من الكمالات البهية والشؤون الإلهية، التي كانت على ما كانت عليه من أزل الأزل إلى أبد الأبد، وهذا التجلي البارز هو عين الحكمة الإلهية، وهو مقام حجاب البطون وأم الفيض، وتجلى فبطن فيه، فصار بعد هذا التجلي البطون والحقائق والأسرار ثلاثا، الثالث منها عين، الثاني ومباين له في حضرة الكثرة والظهور والمثال والمجاز والملك، والثاني مباين للأول فيها وكأنه هو، ويخشى على الـمُوَحِّد الشرك وعلى المشرك الإيمان، والأول عين الثاني مطلقا وقيل بالتباين، والثاني عين الثالث وقيل بالتباين أيضا، فتجلت الحقيقة في الحقيقتين، وتنزلت فحصلت بالتجليات الكثرة والمجاز، فتعلقت الشرائع إلا أن الأرواح كلها غرقى في بحر التوحيد الذي هو الكفر، فلم تبق ذرة في وجود عالم الكثرة إلا تسبح بحمد الواحد الأحد، ساجدة له بالغدو والآصال طوعا أو كرها، إما بشرع من الشرائع أو بالاسم المتجلي فيها، لأن اسم المرتبة له اسم تجلى في أسماء لا نهاية لها، وكل اسم تجلى في ذرة من ذرات الوجود، لم تخل ذرة عن تجلٍ ولا جازت تجليين، وتسبيحها الذي لم يفقه بذلك الاسم، فبهذا تظاهرت المحامد والسيادة الصادقة، فالأول للأول والثاني للثاني والثالث للثالث، وبهذا تعلم أن السعادة والشقاوة على حسب مقتضى هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، ومن الحضرة الثالثة برزت الأقطاب والأبدال بفضل الكريم العالي. فهذا بعض ما أملى عليَّ الوارد، وبعضه ثنيت العنان عن ذكره علما مني بأنك لم تفهم، وتسليت بقول زين العابدين وسيد العارفين علي بن الحسين رضي الله عنه:

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

ويقول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي ... ولا أنثر الدر النفيس على الغنم
فإن يسر الله الكريم بفضله ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم

بثثــت مفيــدا واســتفدت ودادهــم وإلا فمخبـــؤ لـــدي ومكتـــتم
فمــن مــنح الجهــال علمــا أضــاعه ومــن منــع المســتوجبين فقــد ظلــم

ثم قال:

فبــؤ بخســـران وبالحرمـــان وبالضـــلالة مـــدى الأزمـــان

فهذا من الناظم رضي الله عنه إنشاء بمعنى الإخبار، لأنه قد باء بما ذكر كما تبين في غير ما موضع من النظم والشرح، فقد خسر وحرم وضل وأضل، عافانا الله من بلائه آمين.

ثم قال:

ومثــل ذاك مــا بــدا مــن نكــره علـــى إمامنـــا عظـــيم قـــدره
مــن أنـــه قـــد نـــال كـــل مرتبـــةْ للأوليـــاء الســـادة المهذبـــةْ

يعنيأنه أنكر مثل ما تقدم له من إنكار الحقّ على الإمام العظيم القدر والمقدار، كونه رضي الله عنه قد نال كل مرتبة نالها وليٌّ قبله، وزاده من فضله بما شاء وأراد، مما لا يعلم قدره إلا معطيه ومن بوساطته الذي هو سيد الوجود صلى الله عليه وسلم.

ثم قال:

قــد أنكــر الغبـــي أمـــرا وقعـــا لكـــل قطـــب قـــدره قـــد رُفعـــا
فكـــل قطـــب يـــدعي كـــل مقـــام للأوليـــا والشـــيخ فـــاز بالختـــام

يعني أن الذي أنكر هذا الجكني الغبي أمر واقع لكل قطب، فما أتى قطب قط إلا وادعى إحاطته بجميع مقامات الأولياء وارداتهم وتجلياتهم وأحوالهم جملة وتفصيلا، والحال إن ذلك القطب لم يصل إلى مقام الختم، وهناك مقام يسمى بختم المقامات تدركه أفراد الأقطاب، ووراءه ختم الختم، وذلك مقام الشيخ التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين، ووراء ذلك مقام الكتمية له أيضا رضي الله عنه ونفعنا به آمين. وكونه رضي الله عنه

خاتم الأولياء رضي الله عنه شهد له الأكابر والأقطاب قبل ظهوره وبعده، فمن ذلك ما قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي في الفتوحات ونصه: وقد اجتمعت به، أي الخاتم المحمدي الذي لا ختم بعده، ورأيت العلامة التي أخفاها الله عن عيون عباده، وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية المحمدية منه، ورأيته مبتلى بالإنكار عليه فيما يتحقق به في سره من العلوم الربانية اهـ المراد منه. ولا شك أن الاجتماع المذكور برزخي والله أعلم.

وقال الشيخ سيدي المختار الكنتي في كتاب «الطرائف والتلائد»: إن القرن الثاني عشر من الهجرة يشاكل قرنه صلى الله عليه وسلم من وجوه أحدها أن فيه خاتم الأولياء كما أن في قرنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء.

قلتُ: ونص الجواب للشيخ المذكور مما كتبه للسائل، وهو الصالح بن محمد الشيخ السوفي من يسأله عن رؤيا رآها:

الحمد لله الذي جعل صدور أوليائه معادن لحلّ رموز ما أشكل من الحكم والأحكام، وصيرهم مهيئين لورود الكشوفات وبدائع الإلهام، والصلاة والسلام على بشير الأنام، وعلى آله وأصحابه مصابيح الظلام. سؤالك أيها السائل الهمام، عن تأويل قوله صلى الله عليه وسلم فيما رأيته في غيابات المنام **«أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ عَلَى رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى وجهِ ظهر الأَرْضِ أَحَدٌ»**، فتأويله والله أعلم أن هذا القرن الذي نحن فيه يشاكل قرنه عليه الصلاة والسلام من وجوه:

-أحدها: أن فيه خاتم الأولياء كما أن قرنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء.

-الثاني: أن أتباع هذا الولي المجدد الخاتم يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، كما أن أصحاب ذلك النبي الخاتم الماحي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله وحده، ويجاهدون الأمم الضالة كما أن هؤلاء يجاهدون النفس والهوى والشيطان الجهاد الأكبر، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: **«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»** قالوا: وما الجهاد الأكبر قال: **«جهاد النفس والهوى»**.

-الثالث: الإشارة إلى أن هذا القرن أفضل من جميع ما تقدمه من القرون السالفة سوى القرون الثلاثة لورود النص بأفضليتها، قال صلى الله عليه وسلم: **«خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي»** الحديث، ثم فسر ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله **«خير هذه الأمة أولها وآخرها، وبين ذلك نهج أعوج ما أنا منهم ولا**

هم مني»، يريد أواخر الدولة الأموية والعباسية ودولة القرامطة وبني عبيد، وتغلب التتار لما ظهر وانتشر في تلك القرون من أنواع الزندقة والرفض والاعتزال، وسفك الدماء والمعاصي والخمور، والجهالة وظهور الفجور، مما سكن واضمحلَّ أكثره في هذه القرون، ولله الحمد والمنة. وولد الشيخ المختار الكنتي الذي قال إن في قرنه الخاتم المحمدي سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف، وتوفي رضي الله عنه سنة ست وعشرين ومائتين وألف؛ وولد الخاتم رضي الله عنه سنة خمسين ومائة وألف، وتوفي رضي الله عنه سنة ثلاثين ومائتين وألف، فتبيَّن أنهما متعاصران. وتاريخ مولد شيخنا (مولد الختم) بإسقاط الألف الذي يسقط في الدرج، وتاريخ وفاته (يشكر) رضي الله عنه ونفعنا به آمين. وتبشير الأولياء بهذا الختم قبل ظهوره كثير ووراثة محمدية، وكلهم قال: رأيته بفاس مبتلى بالإنكار، وما خرج في فاس من يدعي هذا المقام أحد سواه. وأما ابتلاؤه بالإنكار فأظهر من نار على علم، فقد أنكر عليه العلماء في عصره وبعد عصره، حتى أنكره الجهال كهذا الجكني الهالك الضال المضل، وما قام أحد بالإنكار عليه إلا قيض الله له من يرده ويفحمه ويسكته، إلى هلم جرا. ومن ذلك قوله ما قال له شيخه محمود الكردي لما قال له: ما مطلبك؟ قال سيدنا: «مطلبي القطبانية العظمى»، قال له:لَ كَ أجلّ من ذلك، قال: «عليك؟» قال: نعم.

ثم قال رضي الله عنه:

ولــيس منـــع جاهـــل بمنــــع	**مـا لـم يـرد منع لـه فـي الشـرع**
لا سـيما وجـدان أمـر ممكــن	**مــن فضـل ربنـا عظـيم المـنن**
وشــيخنا مـا قــال إلَّا مــا روى	**عـن جـده ولـم يقلـه عـن هـوى**

يعني أن منع الجاهل شيئا لم يكن لم مانع في الشرع ليس بمنع له، أي لا يمنعه، ولا سيما وجدان أمر ممكن من فضل ربنا العظيم الفضل والمنن، والمدعي عدل رضي فإخباره مقبول إن ثبتت عدالته، سيما من جمع مع ذلك كله روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي زكاه الله تعالى بقوله تعالى: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْـهَوَى﴾** مشافهة يقظة لا مناما، فمنكر ذلك منكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مكذب للقرآن العزيز. وقد تقدم تحقيق الكلام في إمكان رؤيته والأخذ عنه، والله تعالى أعلم.

ثم قال رضي الله عنه:

وذكـــر الجهــول فـــي مكتوبـــه أخبــث مــا قــد قالــه مــن حوبــه
أن الـــولي لا يســـوغ النكـــر عليـــه والإيـــذا لـــه والغمـــر
لـــم يـــدر أن ذا كـــلام نطقـــا بـــه لســـان الحـــال لَـــوْ تحققـــا

يعني أن هذا البيضاني الجهول، ذكر في كتابه بعد ما فرغ من إنكاراته على الأولياء، وسبه لهم، وتكفيره لهم، أن الإنكار على الولي لا يجوز وإذايتهم حرام، والحال أن هذا الغمر لم يدر أن ذلك كلام نطق به لسان الحق، ولو كان متحقِّقا لعلم أن لسان الحق نطق على قلمه بذلك. ولو قال الناظم «لسان الحق» لكان أبين عندي، والله أعلم.

والغمر مبتدأ، خبره جملة **لم يدر**، وفيه التضمين. والجملة حالية وجواب **لو** محذوف، تقديره حقق، أي لو تحقق حقق أن ذا كلام نطق به لسان الحق لكنه لم يتحقق.

وقوله:

مناقضـــا مـــا قالـــه بأســـره وذاك قـــول فاضـــح لأمـــره

يعني أن كلامه هذا نطق به لسان الحق حال كونه مناقضا أقاويل ابن مايابى بأسرها، فهذه القولة منه فاضحة لأمره، وهذا دأب علماء السوء من قديم الزمن إلى هلم جرا، قال تعالى في حق أشباهه **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**، وقال تعالى **﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾**، وقال الشاعر:

لا تنـــه عـــن خلـــق وتـــأتي مثلـــه عـــار عليـــك إذا فعلـــت عظـــيم

والحق أن الله الواحد القهار أنطقه قهرا منه، وإليه أشار الناظم بقوله:

أنطقـــه الله الـــذي قـــد أنطقـــا جميـــع الأشـــياء فأبـــدى زلَقَـــا
لســـانهِ فـــي كـــل مـــا قـــد لغَطـــا فصـــار مثبتـــا لنفســـه الخَطَـــا
ومثبتـــا لنفســـه حـــرب الْعَلِـــي جـــرا إذايـــة الـــولي الأكْمَـــل

يعني أنه أنطقه الله الذي أنطق كل شيء، فأبدى زلق لسانِه في كل ما لغط، واللغط كثرة الكلام، فصار الجكني =قوتل=مثبتا لنفسه الخطأ البين، وحرب المولى المتفرد الجبار القهار القائل جل وعلا: «**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**»، فلا جرم أنه يحاربه المولى جراء، أي لأجل إذايته للولي الأكمل، والقطب الأفضل، والختم الأمثل، أبي العباس أحمد بن مَحمد التجاني رضي الله عنه ونفعنا به آمين. وهذا التناقض دأب الجكني قبحه الله، ودأب كل متكلم بالباطل، فلذا قال فيه العلامة محمد فال بن باب رضي الله عنه:

وقلما ينكر شيئا إلّا أتى بما به يرد نقلا
كالقول في مسألة الكتمان ورؤية النبي بالعيان
وما به هنا أطال الخصر ما تحته من طائل يعتبر

وأطال الجكني هنا بما لا فائدة لأنه يبحث في مقامات الرجال، ويتكلم في الأسماء، ولا يعرف شيئًا مما يقول، إنما هو كمثل الحمار يحمل أسفارا، ينقل كلام الصوفية ولا يشم رائحة لمعانيه، فإن معاني كلامهم لا تفيد فيها العبارة ولا تزيده إلا غموضا، إنما هو علم الأذواق، لا ينفع فيه تقليب الأوراق، ينال بالمشاهدة لا بالنظر بالأحداق، فصار يجلب كلامهم كأنه يعلمنا، فقلت له: ويحك أتعلم أمك البضاع وظئرك الإرضاع!

ثم قال رضي الله عنه:

ولاية الشيخ التجاني إن لم تكن فليس لله ولي الأفضل

كأنَّ سائلًا سأله عن ولاية الشيخ التجاني، هل محقق أنه ولي، فنجزم بمحاربة المولى لكل من آذاه؟ فقال مجيبا: ولاية الشيخ التجاني رضي الله عنه إن لم تكن فليس لله ولي.

يشير إلى قول الشافعي وأبي حنيفة: إذا لم يكن العلماء العاملون أولياء الله فليس لله من ولي، قال تعالى **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾**.

وعقد معنى الآية صاحب الوسيلة المختار بن بون رحمه الله بقوله:

فالأولياء المؤمنون الأتقيا فالعلماء العاملون أوليا

وهذا هو الولي الشرعي بعينه، والعارف أعلى منه مقاما، والقطب فوق العارف، والختم في القطبانية فوق القطب، وختم الختم فوق الكل، وهو سيدنا رضي الله عنه وهو القطب المكتوم رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

ثم قال:

علومـــه فـــي بـــاطن وظـــاهر كـــالبحر إذ يقـــذف بـــالجواهر

وممَّا يدلك على علو مقامه في الولاية غزارة علومه النقلية والعقلية والظاهرية والباطنية، فهو بحر لا ساحل له، يقذف بجواهر المعاني وبله الجواهر العينية.

ومن أراد الاطلاع على بعض علومه فعليه بجواهر المعاني، للعلامة العارف الرباني، سيدي علي حرازم براده الفاسي رضي الله عنه.

ثم قال:

ألـــم يكـــن للســـنة الغـــراء مثـــل المنـــار الشـــامخ البنـــاء
أمـــا تـــرى شـــمس هـــداه تنجلـــي بـــالحق فـــي ليـــل الضـــلال الأليـــل
ألـــم يكـــن معمـــر الأقطـــار لحلـــق الـــذكر والاســـتغفار
لله در هديـــــه مـــــا أحســـــنَهْ حيـــا قلوبنـــا بـــه والألســـنَهْ

هذه الأبيات في ذكر بعض أوصاف الشيخ رضي الله عنه التي تدل المنصف على أنه قطب رحى أهل الولاية وشمس ضحاهم، إذ متابعته للسنة ودلالته على الله في سائر الأوقال والأفعال، وتعمير الأرض بالذكر فقد انتشر الذكر في سائر أقطار الدنيا بسببه، فلله در هديه ما أحسنه، فقد أحيا قلوبنا بنور المعرفة والإيمان والإيقان، وألسنتنا بنور الذكر والاستغفار والصلاة على خير بني عدنان.

ثم قال:

وضـــل هـــذا المنكـــر العنيـــد وغـــره شـــيطانه المريـــد
إذ خطـــأ الشـــيخ بقـــول صـــدرا مـــن غيـــره مـــن الرجـــال الكبـــرا

أن صـــلاة الفـــاتح قـــد نزلـــت | فـــي رفعـة النـــور كمـا عنــه ثبت
لمـــا حكـــى الشـــيخ عـــن البكـــري | فســــــبه بقولــــــه الفـــــريّ
فتــــرك البكــــري وهــــو صــــدرا | منـــه المقـــال وادعـــى فيـــه افتـــرا
علـــى الإمـــام أنـــه قـــد يـــدّعي | وحيـــــا بجهلـــــه وبـــــالتنطع
أعاذنـــا الـــرحمن ممـــا قـــادَهْ | لقولـــــه شـــــيطانه واعتـــــاده

هذا تكميل لمسألة الكلام الذي تقدم الجواب عنه والدعوى للبكري، لكن الجكني لشدة بغضه للشيخ جعل التخطئة له وادعى الافتراء عليه ظلما وزورا، أعاذنا الله من بلائه.

ثم قال:

فـــإن يكـــن مـــا جـــاء مـــن أســـرار | مـــن عـــالم الغيـــب إلـــى الأبـــرار
وحيـــا فـــذا وحـــي يعـــم الأوليـــا | طـــرا ولـــم ينكـــره غيـــر الأغبيـــا
كـــم مـــنهم مـــن نـــال غيـــر زور | ســـرا أتـــى فـــي رفعـــة مـــن نـــور
كالحـــــاتمي وقضـــــيب البـــــان | ذكـــــر ذاك العـــــارف الشـــــعراني
وكالـــــذي طـــــاف ببيـــــت البـــــاري | فنزلـــــت بـــــراءة مـــــن نـــــار
فقرئـــــت فـــــي بـــــاطن وظـــــاهر | فغـــــايرت بـــــذاك كتـــــب البشـــــر
قـــــد قـــــال ذا فحـــــول الأوليـــــاءِ | كـــــلا بـــــلا شـــــك ولا امتـــــراءِ

يعني إنما جاء للأولياء من الأسرار من عالم الغيب إن كان مدعي شيء من ذلك مدعيا للوحي فتلك الدعوى تعم الأولياء، فكلهم يدَّعِي مثل ذلك، فمع ما تقدم ذكره ما قال الإمام محيي الدين بن العربي الحاتمي من فتوحات المكية إن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير، كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها.
قال فيها أيضا: وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة، فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين، فراجعه إن شئت.

ثم قال:

وقال أيضا في صلاة الفاتح العارف البكري قول الناصح
إن الذي قرأ منها واحده ما دخل الجنة فليأخذ يده
فأين ذا من قول شيخنا الذي أنكره هذا المغفل البذي
فلم يكن يبقى سوى التسليم أو سب الأوليا على العموم
لأنهم قد وافقوا في كل ما قد قاله الشيخ كما قد علما
لأن نكر الجاهل الطريد إنكار ذي الحسَد والجحود
وقول الأولياء صعب المدرك وفهمه صعب على كل ذكي
إذ ليس يدرك كلام القوم إلا شريك القوم في الفهوم
حتى يكون معهم في حال يُفهمه دقائق الأقوال
لذاك قال العالم العلامه عبد الودود الورع الفهامه
كلام الأولياء لست أفهم لأنني أنا وهم هم

يعني أن البكري رضي الله عنه قال أيضا كما في وردة الجيوب: من قرأها مرة ودخل النار فليقبض صاحبها بين يدي الله تعالى، هذا هو الذي أنكر به على الشيخ رضي الله عنه، كعادته في سائر المسائل التي ينكرها عليه رضي الله عنه شيخنا وأرضاه.

ثم قال:

وأنكر الجهول ما قد ذكرا إمامنا عن جده خير الورى
أن صلاة الفاتح لا تحبط أجورها كما حكاه الفرط

يعني إن مما أنكر هذا المنكر قول الشيخ رضي الله عنه إن صلاة الفاتح لا يحبط أجرها إذا فعل قارئها فعلا يحبط به عمله.

ثم قال:

وكم لها في الشرع من نظائر أولم ينتقدهن أولو البصائر
كالتسع في تضاعف الأجور فليس تحبط على المأثور
وإنما للغرماء واحده وتلك فائدة أي فائده

وفـــي الحـــديث عمـــل ابـــن آدم لـــه ســـوى الصـــوم فلـــي يـــا ذا العمـــــــــــــــــــــــــــــى

تفســـــيره بـــأن أجـــر الصـــائم يبقـــى فـــلا يبقـــى يؤخـــذ فـــي المظـــــــــــــــــــــــالم

وفيـــه أيضـــا مثـــل ذا كلمتـــان خفيفتـــــان وهمـــــا ثقيلتـــــان

****

تنقص هنا صفحة: 153

****

يعني أنه أنكر الأسقم والمطلسم، وقال إنهما يوهمان النقصان في حق سيد الوجود صلى الله عليه وسلم جهلا منه وعمى.

ثم قال:

وربمـــا جـــاء عـــن النحـــاة حـــرف مزيـــد كالأصـــول يـــأتي

وعكـــس ذا جـــاء ولكـــن يعســـر علـــى الغبـــي حصـــر لا يحصـــر

يعني أنه كثيرًا ما يأتي في كلام العرب ألفاظ أجرى المزيد فيها مجرى الأصل وبالعكس.

ففي الرماح في الكلام على الأسقم الكامل في الاستقامة بلا اعوجاج:
اعلم أن الأسقم أفعل تفضيل من استقام السداسي الذي أصله قام الثلاثي، زيد على بنائه ثلاثة أحرف فصار استفعل، فلما أريد بناء أفعل التفضيل منه حذفت الألف والتاء والألف المنقلبة من الواو مع أنها عين الكلمة، وأبقيت السين مع أنها زائدة لتدل على أنه مصوغ من استقام السداسي لا من قام.
ومثله فيما ذكر أشوق فإنه أفعل تفضيل مصوغ من اشتاق الخماسي المزيد الذي أصله شاق الثلاثي، زيد على بنائه حرفان فصار أفعل، فلما أريد صوغ فعل أفعل التفضيل منه حذفت الألف الزائدة مع التاء الأصلية.

إن قلت: لم حذفت عين الكلمة من استقام ولم يحذف من اشتاق؟
فالجواب: أن بقاءه لا يضر لأنه خماسي، فإبقاؤه لا يمنع من كون بناء الشوق على بناء أفعل بعد حذف الألف والتاء، بخلاف استقام فإن بقاء عين الكلمة منه يمنع من كون بناء اسم التفضيل منه على أفعل إلا إذا حذفت السين بعد حذف الألف والتاء، فحينئذ يصير أقوم فيفوت المقصود الذي هو التفنن في السجع على التفسير الأول من تفسيري أقوم، والمعنى المراد تحصيله الذي هو الاستقامة بلا اعوجاج على التفسير الثاني من تفسير الأقوم فلانتفاء تلك العلة على الأقوم ثبتت فيه عين الكلمة لأنه من قام الثلاثي غير المزيد.
فإن قلت: من سلفك فيما ذكرت من أئمة اللغة؟
قلت: قال في القاموس القوم الجماعة من الرجال والنساء معا، أو الرجال خاصة. إلى أن قال: وقَامَ قَوْمًا وقَوْمَةً وقِيامًا وقامَةً انْتَصَبَ، فهو قائِمٌ، من قُوَّمٍ وقُيَّمٍ وقُوَّامٍ وقُيَّامٍ. وقاوَمْتُهُ قِوامًا قُمْتُ معه. والقَوْمَةُ المَرَّةُ الواحِدَةُ، وما بينَ الرَّكعَتَيْنِ قَوْمَةٌ. والمَقامُ مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ، وقامَتِ المرأةُ تَنُوحُ طَفِقَتْ، والأمْرُ اعْتَدَلَ، كاسْتَقَام هـ. وأما اشتاق فقد قيل فيه الشوق نزاع النفس.
إلى أن قال: وقد شاقني حبها هاجني كشوقني.
إلى أن قال: واشتقاقه إليه بمعنى هـ.
إن قلت: من سلفك من أئمة النحو؟
قلت: قال ابن مالك في باب التعجب من التسهيل: وقد يبنيان، يعني التعجب والتفضيل، من فعل المفعول إن أمن اللبس، وفعل أفعل مفهم عسر أوجهل ومن مزيد فيه اهـ قال الدماميني في شرحه: نحو ما أعطاه للدراهم، وما أشوقني إلى عفو الله تعالى، فإنهما من أعطى واشتاق، وليس من ذلك ما أفقره فإنه من فقر الرجل بمعنى افتقر، وأما ما اشهاه فإنه من شهى الشيء بمعنى اشتهاه اهـ.
وأما مجيء المزيد مكان الأصلي فمن أمثلته: أمكنة جمع مكان، حذفت منها الواو التي هي الأصل لأن أصلها أكونة وأقيمت الميم مقامها وهو كثير، ولكن المنكر معاند، ولكن هذه الصلاة التي تضمنت من أمداح النبي ووصفه بالأوصاف المحمودة تنافي قصد التنقيص واللفظ معناه المراد به عند الشيخ صحيح، لأنه إما أن يكون فصيحا فالفصيح يقبل ما سمع منه ولو خالف.

قال جلال الدين السيوطي رحمه الله في المزهر بعد كلام ما نصه:
الثالث أن ينفرد به المتكلِّم ولا يُسْمع من غيره لا ما يوافقه ولا ما يخالفه. قال ابن جني: والقولُ فيه أنه يجب قبولُه إذا ثبتت فصاحته، لأنه إما أن يكون شيئًا أخذه عمن نطق به بلغةٍ قديمة، لم يشارك في سماع ذلك منه على حد ما قلناه فيمن خالف الجماعة وهو فصيح، أو شيئا ارتجله، فإن الأعرابي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يُسبق إليه، فقد حكى عن رُؤْبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعاها ولاسُبِقَا إليها. اهـ منه.

وفي ذلك قلتُ:

فكامـــل اســـتقامة مســلم — مـن اعوجـاج فهـو عمـري الأسـقم
وإن تتبعـــت كـــلام العـــرب — تجـدْ إمامنـا صـحيح المـذهب
إذ كـل لفـظ جـاء عـن فصـيح — يقبـل لـو خـالف فـي الصـحيح
ذكـــر ذا الســيوطي العلامــه — عـن ابـن جنـي الحـاذق الفهامـه

والصوفية رضوان الله عليهم لهم ألفاظ لم تسمع قبلهم، ولا يمنع ذلك من صحتها، وذلك وراثة تامة عند من نور الله بصيرته، إذ جاءت ألفاظ في العربية لم تسمع قبل الإسلام كالمؤمن والمسلم والكافر والمنافق والفاسق. انظر المزهر.

ثم قال:

واللفـظ أمـلاه علـى الشـيخ — كـذا ولا مـدخل فيـه للغبـي النبـي
وشـيخنا فسـره بمـا ذكـر — فيـه ومـن أنكـره فقـد خسـر

أتى بدليل من أدلة صحته أيضا، وهو أنه من إملاء سيد الوجود وما كان كذلك يقبل قطعا. فقد ذكر اليوسي رحمه الله في محاضراته أن بعض السلف مرض له ولد ولم يجد له دواء يوافقه، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وشكى له ذلك، فقال: «أطعمه كسكسو»، فاستشهدوا بهذه الكلمة بعكس ما قال النحاة أنه لا توجد في العربية كلمة آخرها واو قبلها ضمة اهـ.

ثم قال:

وربّ قول من حديث المصطفى   أعيت معانيه الرجال العرفا

قلتُ: وذلك كالزمارة التي في الحديث و الجُلْهمة. والزمارة الزانية، والجلهمة جانب الوادي، وليس خاصا به، فقد قال الأصمعي: أول ما سُمع مصدر فاضَ الميت من شريح قال: هذا أوانُ فوضه. وكذلك لم يُسْمع جمعُ الدَّجَّال على دجاجلة من أحدٍ قبل الإمام مالك رحمه الله فإنه قال: هؤلاء الدَّجَاجِلة. اهـ انظر المزهر.

ثم قال:

مطلسم السر هو المكتوم	**من غير مَنْ خص به معلوم**
وهو كثير في كلام القوم	**وفي اصطلاح القوم كالمعلوم**
ومن كلام الأوليا ما أشكلا	**لا سيما على اللئام الجهلا**
ومن تعرض لهتك حرم	**أهل الولاية توى بالندم**
أعاذنا الله من الخسران	**بجاه شيخي أحمد التجاني**
قطب الوجود منبع العرفان	**سليل بضعة النبي العدناني**
ساقي بكاس سره الرباني	**أهل الولاية مدى الأزمان**
برغم أنف كل جاهل حسود	**وكل شيطان على الحق مريد**
نظر شمس الحق من عين العمى	**فحسِب الضياءَ منه ظلما**
فسدد السهم لفرط نكره	**فوقعت سهامه في نحره**
يظن أنه على خير هدى	**لكنه قد ضل في سبل الردى**
فالويل مما جاء في منقوله	**له وويلان له من قوله**
فإن ربك لبالمرصاد	**يا من يسب منبع الإمداد**
قد باء بالخسران من عاداه	**كما تولى الله من والاه**

يعني أن المطلسم هو السر المكتوم، وهو لفظ متداول بين أئمة الصوفية فلا وجه لإنكاره لا من جهة الصناعة ولا إيهام فيه، لأنه كلام اصطلاحي يعرفه أهله. ففي هامش القاموس ما نصه: كثير ما يقول الصوفية سر مطلسم. وفي عدة المريد للشيخ زروق: فأما أحزاب المشايخ فيتكلمون فيها بوصف الفناء وقصد الهداية على المعاينة في بساط العبودية،

مع أنهم ضمنوها معاني طريقهم، فكان فيها سلوك وتعليم وتربية وتأديب، كما هو حزب الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.ثم قال: وأما ما فيها من المبهمات مثل ادم حم ونحو ذلك، فحروف قصدت لإشارات يعلمها أهلها ولا تضر غيرهم إذ ليس موقعها موقع إبهام ولا إشكال، والتعلق بها لا يضر بحسب الفهم الصحيح والنظر الرجيح، وقد قال عليه السلام لأصحابه: «**ليكن شعاركم في الحرب هم لا ينصرون**»، فاعرف ذلك وخذ الأشياء بقبولها إذا صح الوجه، وهو كون المأخوذ عنه ممن يصح الاقتداء به اهـ.

وبهذا تعلم أن لا موجب لإنكاره على الشيخ الذي هو الموصوف بهذه الصفات التي ذكر في النظم، إلا التعرض لهتك حرمات الأولياء الموجب للخسران في الدراين، أعاذنا الله من بلائه آمين.

ثم قال:

ثم أتى من قوله المزوري   أخو الجهالة الغبي المفتري
أن انتشار نهجنا التجاني   بحسب الفساد للزمان

يعني أن المنكر قال إن انتشار هذه الطريقة التجانية في جميع البلاد تصديقًا لما أخبره جده سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، دليل على فساد الزمان.

ثم قال:

يريد أن يشينه بما افترى   وذا يزينه لما قد ذكرا
إن الذي يذكر بين الغافلين   كصابر في الحرب بين مدبرين

يعني أن هذا المنكر يريد أن يشين الطريقة بما ذكر، فذكر زينتَها، لأن الذاكرين الغافلين كالصابر بعد الهاربين. ففي الحديث الصحيح: «**ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين**»، وفي رواية: «**ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط**

الشجر الذي قد تحات من الصريد،وذاكر الله في الغافلين يُعَرِّفُهُ الله مقعده من الجنة، وذاكر الله في الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح وأعجمي» انظر الجامع الصغير.

فلا جرم أن فساد الزمان بمنع ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار، وبسب الأشراف والأولياء، وغيبتهم والوقوع فيهم، لكنه زين له سوء عمله فرآه حسنا، اللهم عافنا من بلائه آمين.

ثم قال:

كـــذا حـــديث لا تـــزال طائفــةْ	**مـــن أمتـــي رواه أهـــل المعرفــةْ**
ولـــم يكـــن يضـــرهم مخـــالف	**قـــد وصـــف القـــوم بهـــذا الواصـــــــــــــــــــــف**

يعني ومن نقيض كم هذا المنكر حديث: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى جاء أمر الله»** أو كما قال.

ثم قال:

كـــذا حـــديث أمتـــي كـــالمطر	**لـــم يـــدر فضـــل أول مـــن آخـــر**

أي وكذا ورد التبشير لآخر الأمة في حديث رواه الترمذي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره»**، وقد تقدم الكلام عليه بما فيه مقنع، وفي حديث نعي من قتل في غزوة مؤتة: «**والذي بعثني بالحق ليجدن عيسى ابن مريم في أمتي خلفا من حواريه»**.

ثم قال:

وأن لله عبـــــــــــــــــــادا وردا	**ليســـــوا بأنبيــــا ولا بشـــــهدا**
يغـــبطهم للقـــرب الأنبيــــاء	**وربنــــا يخلـــق مـــا يشـــاء**
وقولـــه يخلـــق مـــا لا تعلمـــون	**كفـــى بـــه ردًّا لقـــول المنكـــرين**

ونص الحديث كما في الجواهر الحسان للثعالبي، وروى عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن من عِبَادِ الله عبادًا مَا هُمْ أَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ لمكانتهمْ من الله**»، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «**قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا أَمْوَالٍ**» الحديث، ثم قرأ ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾. قال: وقد خرج هذا الحديث أبو داوود والنسائي، قال أبو داوود في هذا الحديث: فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور. ذكره بإسناد آخر، ورواه أيضا ابن المبارك في رقائقه، بسنده عن أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال: «**يا أيها الناس ، اسمعوا واعلموا أن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبييون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله عز وجل**» ، فقال أعرابي: انعتهم لنا يا نبي الله، فقال: «**هم ناس من أفناء الناس لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا في الله وتصافوا فيه، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا، يفزع الناس يوم القيامة وهم لا يفزعون، وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**» انتهى منه بلفظه.

ثم قول الناظم رضي الله عنه: وربنا يخلق ما يشاء تنبيه، للمنكر على خطئه في تحكمه على الله وهو يعلم أنه تعالى يفعل ما يشاء، قال ابن بون:

ويجعــل العــالم مثــل الجاهــل   إن ســمة الجهــل عليــه تنجلــي
كقولنــــا لمســـلم وقـــد فســـق   يــا أيهــا المسلم أن المــوت حــق

ثم قول الناظم: وقوله يخلق ما لا تعلمون، فيه ما يرتدع به المنكر عن إنكار ما لا يعلم.

قال العلامة العارف بالله سيدي أحمد سكيرج رضي الله عنه في «طرق المنفعة» ما نصه:

إذا أخبر المفتوح عليه بشيء عجيب فإنه لا تقبله عقول الجهال، ويبادرون بإنكاره على المخبر بذلك.

قال: ولقد كنا نكذب بما نسمعه من غرائب الأفعال الناشئة عن الاحتكاك الكهربائي، حتى كنا نقول باستحالة مثل ذلك في الوجود، حتى شاهدنا من عجائب فعلها ما كاد أن يصير من قبيل الأمر الذي لا يستعجب منه إلا البله ومن في سذاجة البلادة والبداوة، ولا زلنا نسمع عنها وما يصدر منها ما يكاد أن نستحيله أيضا، ثم نراه ونسمع بأعجب. ألم يكن في قدرة الله أن يجعل في الأولياء خاصية تفوق الكهرباء، أو بالأقل تماثل

خاصيتهم خاصيتها، فيقول الولي في هذه الساعة وهو بثغر الجديدة مثلا: سمعت سيدي فلانا بالإسكندرية يقول كذا وكذا وفعل كذا وكذا ونحو ذلك. ونحن نرى التيلفون اللاسلكي ونسمع كلام أهل باريز ولوندرة وبرلين وغير ذلك يتحقق لا شك فيه، فلا شك أن المكذب بمثل ذلك جاهل أو معاند منكر للمحسوسات فكيف يليق به وهو يدعي أنه عاقل أو عالم أن يجحد صدور مثل هذه الأمور في حق الأولياء وينكرها، ولو كان له مسكة من العلم الحقيقي ما أنكر ما يقبله الوجود مما هو داخل في دائرة الإمكان، ولذلك لا يلزم من الرد على الصوفية فساد قولهم في نفس الأمر كما قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله: كنا ننكر على القوم أمورا حتى وجدنا الحق معهم قال تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾ وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**﴾ اهـ.

ثم قال:

فشيخنا ورث خير مصطفى	**في هديه ونهجه قد اقتفى**
فانتشرت طريقه بمغرب	**ومشرق على ممر الحقب**
والناس أفواجا إليها دخلوا	**كما بدين الهاشمي فعلوا**
وذا بوعدٍ من شفيع البشر	**لشيخنا برغم أنف المنكر**

يعني أن شيخنا رضي الله عنه وارث النبي صلى الله عليه وسلم، إذ هو خاتم الأنبياء عليهم أزكى الصلاة والسلام، كما كان شيخنا خاتم الأولياء والمقتدي به المقتفيه في سائر أقواله وأفعاله قدَما على قدَم، ولتمام وراثته انتشرت طريقته وعمت البسيطة، ونسخت جميع الطرق كما نسخ شرع جده الشرائع كلها، ودخل الناس فيها أفواجا كما فعلوا بالدين، وذلك تصديق لما أخبره به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، على رغم أنف المنكر الحسود المعاند الحق الساعي في إطفاء نور الله تعالى، والله يقول في كتابه ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾.

ثم قال:

فالله يجزيه بسوء ما افترى	**على إمام الأوليا وأنكرا**

جلبها بضاعة لا تشترى … إلا بدين من بها قد خسرا
فجازها أهل النفاق والمرا … متجر خيبة فبيس متجرا
يا من لشيخنا انتمى وانتصرا … فالحذر الحذر ثم الحذرا
من كل بيت ضمها فلا ترى … مخالطا لأهله ولو شرا
فإن ذا يغضب سيد الورى … أعاذنا من ذاك بارئ البرى

دعا الناظم على هذا المنكر المفتري، المشنع على الأولياء الأشراف، بأن يجازيه المولى بسوء ما عمل، اللهم آمين. وهذا الدعاء عليه لا بأس به، فقد قال نوح عليه السلام **﴿رَبِّ لَاتَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾**، وقال موسى عليه السلام **﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** الآية.

ثم قال إن كتابه بضاعة من اشتراه فقد باع دينه به لما اشتمل عليه من إذاية سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، ولذلك لا تجده إلا عند أهل النفاق والمراء والفساق الذين لا يبالون بدينهم.

ثم حذَّر غايةً كلَّ من ينتمي لجناب الشيخ أو ينتصر للأولياء من كل بيتٍ أو حانوتٍ ضم الكتاب، أي الخارف الجاني، فلا تخالط أهله ولو بشراء شيء من عندهم، فإن مخالطتهم سم يسري، لأنه يغضبه صلى الله عليه وسلم ما يغضب أبناءه لا سيما الأولياء منهم.

وقد قال في التحذير من ذلك العلامة خليفة شيخنا محمد فال ابن باب رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين:

بيت يحله كتاب الخضر … حل بأهله جميع الضرر
في النفس والمال معا والعمر … إن كنت ذا عقل سليم فاحذر
وإن تكذبني تمهل وانظر

ثم قال الناظم:

رب بجاه شيخنا المطهَّر … وجاه جده شفيع البشر
والخلفاء الراشدين الغرر … مثل أبي بكر ومثل عمر
ومثل ذي النورين والمظفر … حيدرة وحمزة وجعفر
وجاه سبطي النبي المضر … وبضعة المختار شمس

لا كان منا ربنا من منكر على إمام الأولياء الأزهر الدرر
قطب الوجود منبع العرفان شمس الحقيقة بلا بهتان
ممد كل الكمل الأعيان طرا وما الخبر كالعيان
باب الفيوضات العظيم الشان برغم كل حاسد وشان

لما دعا الناظم على العدوّ دعا لنفسه ولإخوانه إن لا يكون فيهم منكر على إمام الأولياء رضي الله عنه، كما فعل نوح عليه السلام فإنه لما فرغ من دعائه على الكفار دعا لنفسه ولأمته فقال: **﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾**. وتوسل بجاه شيخنا المطهر، وفيه رمز إلى أنه مبرأ مما نسب إليه مما لا يليق بمنصبه رضي الله عنه. وقوله: وجاه جده إلخ، أثبت شرفه رضي الله عنه وهو كذلك، فإنه صحيح النسب إليه صلى الله عليه وسلم، وما سمعنا قط ومن طعن في ذلك.

وتوسل بالخلفاء الراشدين الهادين المهتدين، وأولهم الصديق الأكبر ذو الخلال ؛ والثاني نور الإسلام عمر بن الخطاب؛ والثالث أبو عبد الله ذو النورين، شهيد الدار، عثمان بن عفان، والرابع أبو الحسن، باب مدينة العلم، ليث الكتاب، علي بن أبي طالب. وتوسل بعمه صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب، وبابن عمه جعفر ذي الجناحين، وبالسبطين سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، وبأمهما فاطمة الزهرا بضعة المختار.

وقال: لا كان منا ربنا من منكر، اللهم آمين. والأوصاف الباقيات أوصاف الشيخ رضي الله عنه، وقد تقدمت غير ما مرة في النظم والشرح بما فيه كفاية.

ثم قال رضي الله عنه:

أنـي علـى عـدوه المعـاني جـان وإلا فمجـن جـان
أقمـت دون عرضـه لسـاني عنـد الطعـان وشـبا سـناني
حتـى يـؤوبَ الحاسـد المعـاني بخيبـة الرجـا وبالحرمـان
أمـا درى مـن جهلـه أن اهتضام عـرض إمامنـا إذًا صـعب المـرام

يعني أنه جان على عدو الشيخ، وإلا فهو مجن جان عليه، وهذا كما قال الشاعر

........*(فراغ في المخطوطة)*

وذكر أنه أقام لسانه دون عرض الشيخ رضي الله عنه، وشبا سنانه عند الطعان، حتى يؤوب الحاسد المعاني بخيبة الرجاء وبالحرمان.

وصدق الناظم رضي الله عنه وأرضاه فيما ذكر من ذبه عن حريم الشيخ، ورده على من ينكر عليه، فقد قضى الله أنه أول من تقدم وتصدى للرد على هذا المنكر المشنع، ونظمه كفيل بالرد على جميع تلبيسات هذا المنكر، فالله يجازيه بأحسن الجزاء ويطيل بقاءه للمسلمين آمين.

ونبه هذا الجاهل على أن اهتضام إمامنا التجاني رضي الله عنه صعب المرام، لأن الشيخ منصور، قال تعالى **﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾**، وقال تعالى **﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ﴾**، وقال تعالى **﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾**.

ثم قال:

كـم دونـه مـن باسـلٍ كَمِـيّ يـرد زور قولِـه الفـريّ
شـهم الجنـان ذرب اللسـان حـاز الفصـاحة مـع البيـان

منهم بعد ناظم هذا النظم:

العلامة خليفة الشيخ رضي الله عنه محمد فال بن باب رضي الله عنه، فقد قال أشياء في الرد عنه، ولربما تجد في الشرح بعض ذلك، وهو القائل أيضا:

نصحت لمن قد كان للخير قاصدا ويبغي سبيلا للسلامة قاصدا
يخلي عن الشيخ التجاني وحزبه ولا يحتسي بالسب سم أساودا
فقد آذن المولى عدو بحرب فرد ولتشدد الأزر

وليه جاهدا

وإلا فأمر لا يضرك تركه وذو العقل لا يأتي من الأمر عامدا

بشيء على أخراه فيه مضرة وليس على دنياه بالنفع عائدا

فإن يك فرضا فاسلم أنت فربما تكون لمن يكفيك ذلك واجدا

يحض على التقوى ولم يك ورده على شان الاستغفار والذكر زائدا

سوى بعض آيات الكتاب أو أنه يصلي على من جاء بالحق شاهدا

بذا أمر المولى فمن عنه قد نهى يكون لأمر الله جل معاندا

والأشياخ بالتجريب يعرف أمرهم فيدري بماذا يصدر الشيخ واردا

وأصحابه في الناس أهل هداية وأكثرهم تلفيه للخير قائدا

ومن قال لا لا تنتسب لجنابه ولا تبغ نهجا للحقيقة قاصدا

فقل لهم علمي به غير علمكم وما الفهم في معنى الذي قال واحدا

ولم تجدوا للقول من وجه صحة ولم نر وجها بالتأمل فاسدا

وقد قيل كالمرآة يلفي فناظر يكتون به للنفس منه مشاهدا

وخاتم الأولياء قد قال الأوليا بقرن يب يلفى به ليس حائدا

وقال رأيناه بالإنكار مبتلى بفاس الإمامُ الحاتمي على هدى

إذا ما إلى هذا نظرت فشيخنا يرى فيه هذا الوصف من ليس حاسدا

وإذ فقد الأشياخ صدق إرادة وإن يُفقَد ذو صدق غدا لشيخ فاقدا

هدى الله أقواما لبيضاء سهلة وتخرق في شان السلوك العوائدا
فرامت شياطين من الأنس قطعها تتابع شيطانا من الجن ماردا
وقطع طريق الدين أقوى مضرة من القطع في الدنيا لمن كان راشدا
ولكنهم إن صادفوا أهل الاهتدا كمن رام كسرا بالرؤوس الجلامدا

هـ

إني أشرت لجملة الإخوان بالترك سبل النفس والشيطان
إن التباغض والتحاسد والتدا بر كلها عنه نهى العدناني
إن اتباع كلامه خير لنا عقبى من البغضاء والشنآن
فليشهد الثقلان طرا أننا مستمسكون بمحكم القرآن
وحديث جبريل الذي قد جاءَ في الْـ ـيمان والإسلام والإحسان
وكلام شطح الأوليا لم ندره لصعوبة والضعف في الأذهان
أنى لنا إنكاره أو غيره عن فهمه هذان فرع ثان
إذ لا يجوز لمثلنا نظر له من ذاك خطر حذر أهل الشان
ماذا على من قال لست بعالم ووكلتُ ذا للعالم الديان
قول ابن أحمد دام فيه سبيلنا جازاه رب العرش بالغفران

ومنهم صاحب الجواب المقنع، محمد الأمين بن أحمد صاحب العضب اليماني، ابن محمد حسان الطريق رضي الله عنه.

ومنهم محمد عبد الله بن ففا القائل:

لقد أنكر الجهال ما في الجواهر وإنكار أهل الجهل ليس بصائر
ولا يمتري فيه سوى محض جاهل جهول بما تحوي بطون الدفاتر
تشاغل بالدنيا وجمع حطامها وصحبة أذواء الغنى والمزاهر
هو الحق لا يخفى على ذي بصيرة وللحق كنه عند أهل البصائر
كحامدٍ المحمود في الناس سعيه وآبائه الغر الكرام النحارر

أو العلمـــا الســـادات أبنـــاء عاقـــل حمـــاة ذمـــار العلـــم دهـــر الـــدهارر
رجـــال بهـــم للحـــق نصـــر مؤبـــد وللـــدين قـــدما مـــنهم كـــل ناصـــر
وإن رام أهـل العـد عـد ذوي الهـدى يكونـوا هـم الأَوْلـى بعـد الخناصـر
فـــإن كـــلام الأذكيـــاء تشـــافها يحاكيـه فـي الجـدوى كـلام المزابـر
إلـــيكم جـــا حســـناء صـــادقة الثنـــا تخبـــركم عنـــا بمـــا فـــي الســـرائر
وإنـــا لمـــا جـــا فـــي الجـــواهر ميلنـــا وذاك مـن أهـل العلـم قـول الجمـاهر
فلـــيس لنـــا أمـــر بجمـــع أجانـــب ولا ســـير حســـنا دون إذن معاشـــر
ونخشـــى بحمـــد الله مكـــر إلهنـــا ولا آمنـــا مكـــرا لـــه غيـــر خاســـر
ونـــأمر بـــالمعروف غايـــة جهـــدنا وننكـــر مـــا يبـــدو لنـــا مـــن مناكر
ولـم نـول كفـرا مـن طريقـة شـيخنا تحيـد بـه عنهـا صـروف المقـادر
ولـــيس علـــى القـــرآن ذكـــر مفضـــل بمـــذهبنا مـــن أول ومـــن آخـــر
سـوى مـا تـلا القـوم الألـى يقرءونـه ولـم يتجـاوز مـا لهـم مـن حنـاجر
أولئـك قـوم فـي الصـحيح خـروجهم من الـدين ديـن المصـطفى ذي المـآثر
فخيـر لهـم منـه الصـلاة علـى النبـي ففيهـــا لهـــم نفـــع يـــرى بالتكـــاثر
صـــلاة عليـــه مـــا اضـــمحلت أباطـــل ومـا ظهـرت بـالحق شـمس الظهـائر

ومنهم محمد عبد الله بن محمد المختار القائل:

قـــف بـــالمرابع ســـاحة الانهـــاء وســـأل معاهـــدها عـــن الأحيـــاء
واتـرك علـى الأحشـاء دمعـك هـاطلًا فعســـى تبـــرد غلـــة الأحشـــاء
دمـــن غـــدت مستوحشـــا متابـــدا أطلالهـــا إلا مـــن الأطـــلاء
لا يـــا تلـــوح رســـومها وكأنهـــا بـــاقي الوشـــوم بمعصـــم العـــذراء
كنـــا نصـــيد بهـــا الظبـــاء خـــواذلا والـــدهر يزهـــو فـــي مـــلاء صـــفاء
مـــاذا التشـــبب بالظبـــاء وعينهـــا بعـــد التصـــابي آذنـــت بجفـــاء
ولـــئن غـــدا ســـرب الصـــبابة عازفـــا أمـــا كنـــتَ وارده مـــن الأحســـاء
لمـــا أتيـــت مغـــاز لا ريحانـــة جمـــا العظـــام قليلـــة الأكفـــاء
ولكم أســامر فتيــة شـــوب الرحيـــق معتقـــا بالمـــاء
بـيض المعـارف مـا اسـتخف حلـومهم جهـل الجهـول ونـاطق العـوراء
ولكـم شـهدت مـن المشـايخ مجلسـا يكســـو الـــذليل بعـــزة قعســـاء
ولكـــم أجـــاذبهم مـــلاءة مســـند قـد صـح متنـا عـن أبـي الزهـراء
ولكـــم فهمنـــا آيـــة عرفـــت لهـــا مـــن قبـــل ذاك معـــارف الأنـــداء
ولكـم جلونـا غامضـا كثـرت بـه أقـــوال أهـــل الملـــة البيضـــاء

ولكم نظرت إليهم من نظرة ... تشفي من البرحاء والرحضاء
إني امرؤ يحيى نازلا ... من مجدهم في الذروة العلياء
إني امرؤ لين الجناب موطأ ... أطنابه ذو عزة وإباء
وإذا تسابق في البلاغة حلبة ... فأنا حلبة البلغاء
ولقد تمكن منبت الـ ... ـكرماء والعلماء والصلحاء
فإذا وضعت على النكير كلاكلي ... ضاقت عليه منادح الغبراء
أرمي بها تترى إليه فتظلم الـ ... دنيا عليه كظلمة الدأداء
فإذا نفثت على النكير فإنما ... نفثي كنفث الحية الرقشاء
هذا وما كان السباب بشيمتي ... إن السباب لشيمة اللؤماء
كلّا ولم أذمم معاشر جئتهم ... ترمي بيَ الفيفا إلى الفيفاء
ضنوا برد تحيتي وتغيظوا ... كتغيظ القضقاضة الربداء
ولكم حميم عابني بين الملا ... فاستغربتْ ضحكا له أعداء
فصفحت عنه معرضا متلقيا ... منه المعاب بأذني الصماء
ولربما أسررت حسوا في ارتغا ... كيما أنبه حاسد النبهاء
ولربما ظن الجهول تغافلي ... بلها فيحسبني من البلهاء
ولقد غدوت بلبه متلاعبا ... كتلاعب الأفعال بالأسماء
إذ ليس يدري أنني طاوٍ على ... ما قد طوى أحشاءه أحشاء
وإذا أصول فلا يقوم لصولتي ... وغر الحشا ذو اللمة الشمطاء
ولقد حلبت الدهر شطريه فما ... أغترُّ بالسرَّا ولا الضراء
سهل القياد إذا ألاين مانحا ... صفو الوداد لمن يريد إخاء
صعب القياد إذا أقاسي مرة ... قاسي الجناب كأبعد البعداء
هذا ولم أك في الوداد لأهله ... متلونا كتلون الحرباء
أرعي ما أراعي شاهدا ... لست المبادر غيبة الرقباء
ولرب شاسعة يحاربها القطا ... تعيى النسيم متانها فيفاء
أبوابها بعد العشاء عوازف ... والجن تعزف جوفها بغناء
جشمتها غلب الرقاب بفتية ... أسري بهم فيها سرى الجوزاء
عاطيتهم فوق الرحال علالة ... أشهى من الدبابة الصهباء
طورا نخبر عن أبي بكر وعن ... عُمرٍ وعن عثمان ذي الأنداء
ولكم نخبر عن أبي حسن وعن ... شان السعود وعن أبي الدرداء
ولكم أخذنا عن أبي العباس من ... سر تضي به يد الكرماء
نحن القضاة إذا القضايا أشكلت ... وتنازعتها حذق الخصماء
والكاشفون الحكم يخفى نصه ... وتجاذبته أدلة العلماء

كـم مـن خـلاف بيننـا فـي مسـند كثـــــرت بـــــه آرا ذوي الآراء
وتخــالفٍ فيمــا يعــم مخصصــا وتخــالف فـــي القـيس والأحـــراء
وتخــالف فيــه الــذي وفروعهــا وتخــالف فـــي الهمـس والإخفــاء
أزكـى الصـلاة علـى المشـفع مـا زهـــــت قـــف بـــالمرابع ســاحة الانهـــاء

ومنهم محمد بن محمد فال بن أحمد فال التندغي القائل:

هاجـت لــه دمــن اللــوى والمعهـد شــوقا تحكــم منــذ بانــت مهــدد
فتــرددت زفراتــه لمـــا غـــدا للطـــرف فـــي عرصـــاتهن تـــردد
وتبـــددت أنظـــام شــمل دموعـــه جـــون الجمـــان جـــرى عليـــه تبـــدد
فاهتــاج منــه دفـين شــجو لــم يـزل بـــين الجـــوانح فـــي الحشـــا يتوقـــد
وأبـــت لـــه ذكـــرى الأحبـــة ســلوة إن ســـامها أو ســـيم منـــه تجلـــد
يــا قلــب صــبرا إن ديــدان الهــوى بالوامقيـــــن توعــــــد وتـــــودد
مـــا أنـــت أول عاشـــق آلافـــه مـــر الزمـــان علـــيهم فتبـــددوا
أو هاجـــه قفـــر المنـــازل أن نـــأى عنـــه الأحبـــة والغـــزال الأغيـــد
أو شـــدو نائحـــة الضـــحى أو غـــره خلـــف المواعـــد والعهـــود الخـــرد
أو طـــارق بعـــد الهـــدو وبـــارق وهنـــا أوان نعـــق الغـــراب الأســـود
فـــأخو الهـــوى مـــن لـــم يـزل ينتابـــه مـــن دهـــره دبرانـــه والأســـعد
لا تعجـــبن إن عـــنّ خطـــب داهـــم شـــاب الصـــغير لـــه وذاب الجلمـــد
فالـــدهر لا ينفـــك عـــن أحدوثـــة يســـتك منهـــا المســـمع المســـتنجد
إن قيـــل بطـــل فـــي حـــريم أجلـــة مـــن دونهـــم بـــدر الـــدجى والفرقـــد
لا ســـيما شـــيخ المشـــايخ أحمـــد بـــدر الهـــدى الغـــوث الإمـــام الســـيد
بحـــر الحقيقـــة والشـــريعة والنـــدى والعلـــم والحلـــم الخضـــم المزبـــد
مـــن مثلـــه بعـــد النبـــي وقرونـــه لمـــا يجـــده مغـــرور أو منجـــد
فلقـــد رمـــى مـــن قبـــل ذاك جهالـــة حـــرم الإلـــه الأعظـــم المتفـــرد
ولكـــم رمـــت رســـل الإلـــه عصـــائب إذ قـــادهم طغيـــانهم وتمـــردوا
فاســـتدرجوا حتـــى استصـــل ضـــلالهم واستأنســـوا أن الغوايـــة مرشـــد
وتصـــعدوا فـــي غـــيهم وتصـــوبوا ولقـــد يغُـــرّ الغِـــرّ ذاك المصـــعد
ألقـــى الإلـــه علـــيهم مـــن عدلـــه مـــا لا يطـــاق وفعلـــه لا يـــردد
فـــأذاقهم هـــون العـــذاب وخزيـــه ولهـــم عـــذاب فـــي الأخيـــر مؤبـــد
فأبـــان أن الغـــالبين جنـــوده قســـرا وجنـــد الأخســـرين مطـــرد
إنـــا لنعلـــم أن أحمـــد شـــيخنا هـــادي العبـــاد إلـــى طريـــق يحمـــد
المقتفـــي الهـــادي ووارث ســـره وهـــو المهـــدي حيـــث ضـــل المرشـــد

ما غرنا منه مقالة حاسد ... ولقد عدا النهج القويم الحسد
ما . يضر . قيل حسودها ... لو نالها من كل شخص محسد
ما . سوى ائتمار بالذي ... أمر النبي وطرد ما قد يطرد
ذكر المهيمن جل واستغفاره ... أو أن يكرم بالصلاة محمد
تبا لمنكر ما به قد أنزل الـ ... آي المعضد والحديث المسند
والجمع للأذكار جاء مرغبا ... فيه من الآثار ما لا يجحد
كم من حديث للإله وللنبي ... في فضله نقل الرواة المجد
منها البخاري ومسلم والترمذي ... والحاكم الطبراني تمت أحمد
فرياض جنات الإله معدة ... لجموع ذكر والملائك شُهد
ولقد شفى الشعران وابن عطا بذا ... غلل الصدى والناقدون توعدوا
بحديث من آذى وليا والولي ... بكرامة الذكر الكثير مؤيّد
ولقاءه صلى عليه الله في ... حال التيقظ من نفاه يفند
فحديث أن الأنبيا بقبورهم ... أحياء استبعاده يستبعد
كم ناله من سادة وأقره ... في كتبهم من آخرين وعضدوا
كالشاذلي والمرسي والجيلي والـ ... خواص والجعد السيوط الأمجد
والقرطبي ومدخل الحاجي ومن ... ينمى إلى العربي لهذا وطدوا
ولواقح الأنوار للشعران مع ... كتب السيوطي فيهما ذا المشهد
أما السيوطي ففيه ألق كاشفا ... تنويره حلك انتقاد ينقد
لكن علمنا أن منكر هذه ... حرم الفضيلة ما له منها يد
والفضل فوق الأوليا للشيخ لم ... ينكره إلا من لختم جحد
أو مُنْكِرُوا فضل الإله الذ به ... من شا يخص ويصطفيه فيرشد
فالشيخ ختم الأولياءِ لأنه ... بالإرث خير الأنبياء مسوّد
فالحاتمي أقرَّ ذا بدلائل ... والسيد المختار ممن قد هدوا
ولكم أئمة ظاهر أو باطن ... في سلكه انخرطوا ولم يترددوا
وصلاة فاتحه الشريفة إنها ... للمذنبين من التلاوة أفيد
إذ في التلاوة وهي أفضل ما حل ... بذنوبهم وبتلك محو مسعد
إذ رُبّ قارٍ والقرآن يلعنه ... آت فجا بدل الثواب المطرد
دلت على هذا أحاديث النبي ... تروى بمعنى لا بلفظ يورد
كالماء من عسل وسمن للصدا ... أجدى وفضلهما عليه موكد
والمنكرون كرامة للأوليا ... كالمنكري إعجاز رسل يعهد
ما الشمس في كبد السماء بصحوها ... يبغي الدليل شعاعها المتصعد
إن قيل هلا أخبر الهادي بذا ... أصحابه من خوف كتم يبعد
قلنا الرسالة قد غدت في معزل ... عن ذا فذا غيب سيورده غد

ما فيه للشرع الجلي متعلق   كلا ولا فيه اعتقاد يعقد
بل إنه فضل جزيل أعده ال   مولى لختم الأوليا قد يركد
لطفا به وبحزبه إذ خصهم   من شا يصدقه ومن شا يبعد
هذا وكم ذا أرفد الهادي ولم   يؤمر بإفشاء لمن قد يرفد
ثم الصحابة في غنى عنه بما   من صحبة الهادي وطلعة أفردوا
إذ سبق صحب المصطفى من بعدهم   سبق القطا قملا إذا ما تسئد
ولأنهم إن يطلبوا تحصيله   م يقدر إذ ميقات ذلك مبعَد
وفضائل الأذكار أخبرهم بها   والشيخ نار بالمعلم توقد
إذ لا يني فوق الورى طرّا له   صيت على رغم الحسود مخلد
فاشدد على هذا اليدين وإنه   يوم الجزاء له العُلى والسودد
وليس للإنسان إلا ما سعى   عن نجل عباس بنسخ يشهد
قول الإله علا وكان أبوهما   وكذاك ألحقنا بهم فلتهتدوا
والمنكرون بفضله لما يزل   خزي لهم بين الخلائق يعثد
ولقد أعد لهم إذا لم يرجعوا   سوء العواقب إذ بنكرهم ردوا
ما قيلهم إلا سفاسط صلة   نحو العماية لا الهداية ترشد
طارت بها نكب الرياح لبطلها   ومشى عليها الدهر وهو مقيد
لا تعجبن إن الأمور بختمها   ولو اعتدوا في غيهم واستأسدوا
إنا استجرنا بالنبي وآله   مما إليه من العضال تصددوا
لولا وصية شيخنا بتصامم   لاستل في ذا صارم ومهند
فالشيخ أوصى بالتحمل للأذى   أُصحابَه بالأنبياء ليقتدوا
يا سيدي هذي عروب زفها   غير البليغ لبابكم تتأود
لكنها لما إليكم أهديت   تاهت فأعطتها القياد النهد
وحوى مقلدها بشذر مديحكم   ما لم يحُزه بالجمان مقلد
تبغي التقرب نحوكم إذ مهرها   فيه استقل نضاره والعسجد
فلتصلحوا من نقص مهديها لكم   بكمالكم حتى يتم المقصد
سميتها دمغ النكير وطرده   بالذب عن حرم القدير الأوحد
يحلو لذي الحق الصميم سماعها   وتمر في إذن الحسود فيكمد
ثم الصلاة على النبي وآله   ما انزاح بالحق الضلال المقصد

وغير وغير ممن لا يُحصي عددهم إلا الله، وكلهم كفيل بالرد عن الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين.

ثم قال:

رب اسقنا من سلسبيل كوثر طريقه على ممر الأعصر
ليشمل الكل ضمان المضري صلى عليه الله عد المطر
وارزق لنا العلو في الدارين رب بطه سيد الكونين
والآل والصحب كرام البشر من بعده والمقتفي للأثر
هنا انتهى بحمد رب الفلق ما رمت من نظم نسيج مونق
أسسته بواضح البرهان في الرد عن إمامنا التجاني
ثم صلاة الله والسلام على النبي ما شدا الحمام
وآله المطهرين الكرما وصحبه وكل من له انتمى

ختم الناظم نظمه بأبرع ختام، حيث دعا بدعواته التي تفيد أنه أقصى مراده من الله الثبات على الطريقة التجانية، استجاب الله دعاءه فيه وفينا وفي سائر إخواننا التجانيين، بجاه خاتم الأنبياء، وبجاه خاتم الأولياء.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

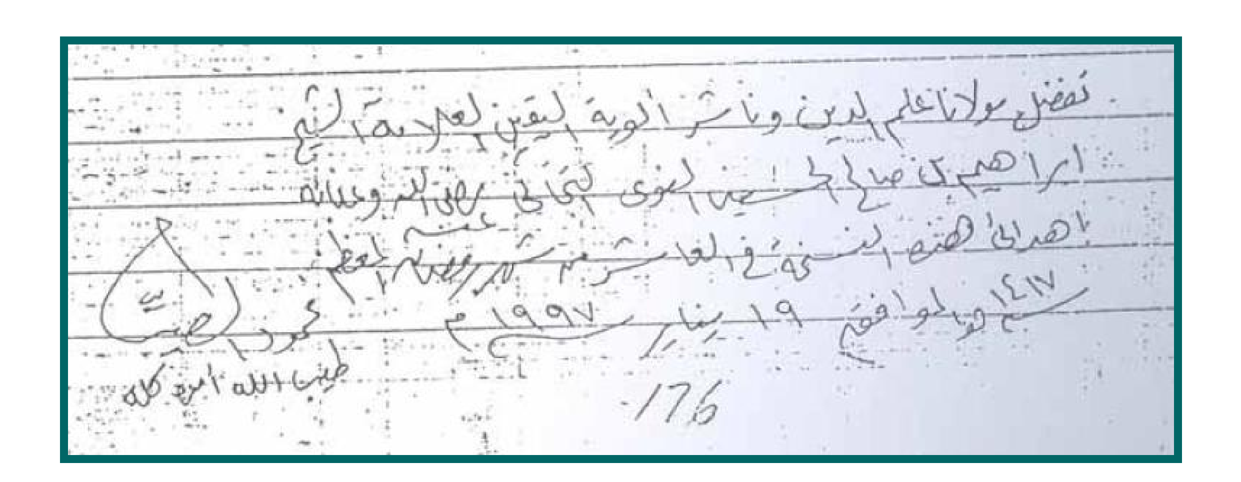
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الشارح: فرغت من تسويده يوم الخميس السادس من شهر رمضان 1348 عام الفيضة بكولخ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال سيدي محمد عبد الله بن ففت يقرظ كتاب العالم العيلم العامل، والمحرر المبرز الكامل، السيد إبراهيم بن الحاج عبد الله التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين:

للشعر داعية بهذا الموضع والناس بين مقصد ومقطع
إن الدواعي لو علمت كثيرة منها الوقوف بعافيات الأربع
وغنا القيان على المزامر بالضحى عند الشراب بكل كاس مترع
وتجاوب الأقمار كل عشية فوق الغصون بأبطح وبأجرع

وتواصـــل الأحبـــاب بعـــد تقـــاطع … وتغـــازل الحســـناء ذات البرقـــع
لكنمـــا أدعـــى الـــدواعي عنـــدنا … اعٍ بـــه ســـمحت قريحـــة لـــوذعي
مـــن ذاك شـــرح شـــارح لصـــدورنا … وبـــه يشـــنف مـــا لنـــا مـــن مســـمع
فيـــه تجمعـــت العلـــوم وإنهـــا … ممـــا عـــدى البيضـــاءِ لـــم تتجمـــع
مثـــل الحـــديث ومـــا تعيـــه صـــحابة … أو مـــا عـــن اتبـــاع الصـــحابة قـــد وعـــي
مثـــل الإمـــام الأصـــبحي وقومـــه … وجميـــع مـــن عـــن نهجهـــم لـــم يقلـــع
يـــدعو ويســـمع كـــيْ يســـر ذوي النهـــى … ويثيـــر شـــجو الجاهـــل المتبـــدع
أعنـــي الخليـــل وبالخليـــل لـــه اقتـــدا … وبأحمـــد حـــاوي المقـــام الأرفـــع
شـــيخ إذا رئـــى يكـــون كأحمـــد … وإذا تكلـــم كـــان مثـــل الأصـــمعي



تفضل مولانا علم الدين وناشر ألوية اليقين العلامة الشيخ
إبراهيم بن صالح بن الحسين الحوثي اليماني [illegible] وسلمه
بإهدائي هذه النسخة في العاشر من شهر [illegible] رمضان المعظم
سنة ١٤١٧ والموافق ١٩ يناير ١٩٩٧م
محمود الصبيحي
طيب الله أمره كله
176